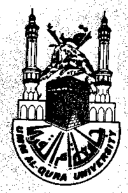
وزارة التعليم العالـــي
جامعة أم القـرى
مركز أبحاث الحـــــج
مكة المكرمة



" تاريخ الحج من خلال الحجاج المعمرين"

(دراسة تاريخية - ميدانيـــة)

اعــــــداد

د. سليمان عبد الغني مالكي   د. سعد الدين أونـال

فريق البحــــــــث

١ – د/ سليمان عبد الغنى مالكى .

٢ – د/ سعد الدين اﻷنال .

الفريق المساعد :

١ – أ – عبد الرحمن محمد على مارية .

٢ – أ – عبد رب النبي محمد .

فهـــرس المحتويـــات

–..............–

مقدمـــــــــة

ان من المهمات الرئيسية التي يقوم بها مركز أبحاث الحج هي جمـــــع المعلومات الأساسية ذات العلاقة الوثيقة بالحج ومكة المكرمة ،والمدينة المنورة ، ولقد اهتمت الدراسات الحضارية بالمركز بتغطية بعض الجوانب التي تخص الموضــوع تاريخيا وحضاريا ،ومنها تكونت فكرة مشروع تاريخ الحج من خلال أقوال المعمرين .

استهدف هذا العمل اخراج بحث متكامل عن تاريخ الحج من خلال ذاكـــــرة الحجاج المعمرين الذين ينتمون الى جنسيات مختلفة مع القاء نظرة تاريخية مـــن خلال كتب التاريخ والرحلات ،وكذلك تكوين أرشيف صوتي لدى المركز يحوي معلومـا ت تاريخية عن الحج وطرقه ومشاكله ،وعن العادات والتقاليد التي كانت ومازالـــت موجودة والتي لها ارتباط وثيق بالحج ومايتعلق به من استعدادات للسفر الـــى المناطق المقدسة لأداء فريضة مهمة من فرائض الاسلام الخمس.

لهذا الغرض قامك الفريق البحثي بالعديد من المقابلات اجراها مع الحجاج المعمرين بضع سنوات متتالية في مواسم الحج ، بدأت بموسم حج عام ١٤٠٣ وانتهت بموسم حج عام ١٤٠٨ ، وشـــاركـــنا فـــي مرحـــلة جـــمع معـــلومـــات هذا البحث العديد من الأخوة الزملاء ونخص بالذكر د/ شروت حجازي الذي أشرف علـــى الطلبة الباحثين لحج عامي ١٤٠٣،١٤٠٤هـ مع اشتراك د/أحمد نصر ،والأستاذ محمـــد موسى الذي قام بالاشراف على الطلبة المترجمين أثناء تفريغ وترجمة المقابـــلات المسجلة على الأشرطة بلغات غير عربية ،والأستاذ جابر السعداوي الذي قام بتصحيـح التقارير السنوية الأولية لهذا البحث ،والاستاذين حمدي هاشم وعبد الباسط عطيـــة اللذين ساعدانا في اجراء بعض المقابلات مع حجاج العرب وتفريغها .

وروعي في الحاج المعمر الذي أجريت معه المقابلة الشروط التالية :

١ – أن يربو عمره على الخمسين سنة ،

٢ – أن يكون قدسبق له أداء الحج قبل مدة زمنية لاتقل عن ثلاثين سنة .

٣ – في حالة عدم توافر ماسبق فيمكن إختيار الحاج المعمر من بين الحجاج المعمرين الذين لم يسبق لهم أداء الحج ،ولكن توجد لديهم معلومات عن العادات والتقاليد وقصص الحج التي سمعوها من أحد أقربائهم الذين سبق لهم أداء الحج قبل سنوات طويلة .

٤ – وفي حالة تعذر الحصول على العينة المطلوبة من قوالبها السابقة فيمكن اختيار المعمر الذى يمكن الاستفادة منه في أخذ المعلومات الخاصة بالموضوع .

لقد قسمنا البحث الى مبحثين رئيسين هما :

المبحث الاول :: يضم نبذة تاريخية عن طرق الحج والصعوبات التي واجهت هؤلاء الحجاج ووصف الطريق من جدة الى مكة المكرمة ،ثم تناول البحث الحديث عن وصف لمكة المكرمة في القرن العشرين مع التركيز على وسائل النقل في داخل مكة والمدن الرئيسية ،ثم انتقل الحديث فيما بعد عن وصف للطريق من مكة المكرمة الى المدينة المنورة مع ذكر الطرق الثلاثة التى كان يسلكها الحجاج .

ثم تلا ذلك الحديث عن ماورد في المراجع من أهم الشكاوى الخاصة بالحجاج مايلاقونه من معاملات سيئة أثناء أدائهم مناسك الحج .

المبحث الثاني: خصص للحديث عن الجانب الميداني مع بعض نماذج لهذه المقابلات مع الحجاج ،ولقد شمل هذا الجانب على الحجاج الأفارقة والأفغان والهنود والباكستانيين والاندونسيين

والماليزيين والاتـــــراك مبتدئا بوصف للطريق الذي كانوا يسلكونه ،وأهم المشاكل التي واجهت ركب الحاج مع ذكر وصف لرحلة العودة الى الوطن . وتنتهي الدراسة بخاتمة للبحث تستعرض أهم النتائج.

ولابد في الختام بأن نعترف بـــأنـــــنا لا بد وأن نكون قد أفرطنـــــــا في الحديث في بعض الفصول ،وقد قصرنا في البعض الآخر لأن الكمال لله سبحانـــــــه وتعالى وحده ،ونلتمس العذر من الله ثم من القاريء الكريم .

والله من وراء القصد .

الباحثان

- أهداف المشروع وكيفية نشأته :

ظهرت فكرة الدراسة حين اهتم القسم ضمن اهتماماته بجمع العادات والتقاليد المكية وكذلك الحرف اليدوية التقليدية التي ارتبطت بموسم الحج خاصة وعلى مدار العام عامة .

لقد أثرت التغيرات الاجتماعية والعمرانية التي حدثت في مكة تأثيرا كبيرا على هذا الميدان (دراسة الحرف والعادات والتقاليد) فقسم كبير منها قد اندثر ولم يبق منها الا مايسمع من المعمرين وقسم آخر في طريقه الى الاندثار وقسم ثالث تغير عن ذي قبل إما لمستحدثات تطلبها ضرورة التغير الحضاري وإما لنقص الدور الهام الذى كان يستند اليه في بقائها ولا نستطيع هنا أن نفصل كثيرا بين الحياة الاجتماعية بكل مشتملاتها من عادات وتقاليد وحرف يدوية ذات نمط متميز عرف به أهل مكة منذ القدم .

ولوجود موسم الحج وتتابعه عاما بعد عام منذ ظهور الاسلام نجده يحتفظ على مر العصور وللآن بملامح من الصعوبة ان تتغير ،فكل مسلم في جميع بقاع الأرض يظل يحتفظ في ذاكرته لهذا المكان الطاهر مما سمعه أو قرأه بشتى الذكريات الى أن يمن الله عليه بزيارته وان لم يكن هو فأحد أقرانه أو أحد أفراد عشيرته .

ولهذا يرتبط الموسم بتقاليد مختلفة تختلف باختلاف البقاع التي يأتي منها الحاج الى مكة الى جانب الغرض الديني الذي أتى لتأديته فهو قبل وصوله الى مكة وبعد رحيله منها الى قريته أو موطنه يمر بتقاليد توارثها من مجتمعه تحض على هذه الشعيرة دون غيرها وتكاد لاتختلف في جوهرها عن الزمن القديم الا ما تتطلبه الضرورة تمشيا مع المدنية التي تجعل بعض التقاليد تتواري حيث انها لم تكن تفى بالمطلوب ومنها على سبيل المثال لا الحصر وسائل المواصلات التي كان يحضر بها الحاج من موطنه الى مكة ذهابا وايابا .

هذه التقاليد وغيرها مما لا نحيطه علما لتعدده ،من الممكن أن تكون رصيدا غنيا عن رحلة الحج في القديم بكل ماتحويه من مراسم وتقاليد يحافظ عليها الحاج ويعتبر – أحيانا – النزول عن البعض منها من الأخطاء التي قد لاتتفق وقدسية الرحلة .

وحين نرجع بالذاكرة الى فترة ليست بالبعيدة نجد طرق الحج ودروبه كطريق ركب الحج اليمني والعراقي والمصرى التي لاتدل فقط على طريق السير بقدر ماتعنى حياة اجتماعية كاملة ونواحي اقتصادية وملامح عمرانية سواء عن طريق الخدمات التي كانت تقدم في محطات الطريق أو المرافق التي زود بها الطريق من قبل الدول الأسلامية للوصول الى هذه البقعة المقدسة .

ومن هنا تمخضت فكرة المشروع لمحاولة جمع مادة علمية من خلال المعمرين الذين يفدون الى مكة المكرمة من مختلف بقاع الأرض حاملين معهم الى جانب الرغبة في زيارة البيت العتيق – الكثير من ذكريات الاماكن التي عاش ذووهم بها وكذلك المواصلات التي نقلت أسلافهم منذ عشرات السنين وكذلك محاولة جمع معلومات عن العادات والتقاليد لحجاج الدول الأسلامية عند تفكيرهم في بدء الزيارة . وكذلك هناك هدف آخر هو محاولة تتبع الحال التي كانت عليه مكة قبل مدة من حيث الاسواق والصناعات التي كانت تشتهر بها وتشكل سوقا حيويا لأهالي مكة وكذلك حجاج بيت الله الحرام الذين يشكلون في الوقت نفسه أكبر مستهلك لهذه المنتجات . وكذلك إلقاء نظرة تاريخية على هذا الموضوع من خلال كتب التاريخ والرحلات التي زار مكة مؤلفوها وكتبوا عنها .

وبذلك يتكون لدى المركز أرشيف صوتي يحوى معلومات علمية عن العادات والتقاليد والاستعدادات للسفر الى الأرض المقدسة ووسائل النقل وأوضاع الطرق حينذاك ،والمشاكل والصعوبات التي واجهت الحاج في الطريق واثناء أدائه

لمناسك الحج والوصف الكامل والتفصيلي لطرق الحج والمدن والقرى والقبائل التي تقع على مدى الطريق وكذلك الوصف الكامل لمدينتي مكة المكرمة والمدينة المنورة من خلال هذه المقابلات مع الحجاج المعمرين الذين سبق لهم أداء فريضة الحـــــج قبل سنوات كانت فيها المواصلات وأدوات النقل لاتتعدى الجمال والبغال والحمير. حتى يستفيد من هذا الأرشيف الصوتي أجيال من الباحثين مستقبلا كما نستفيد اليوم في مختلف المجالات .

دور المعمرين والاستعانة بهم في كتابه التاريخ

تتجلى أهمية دراسة أقوال المعمرين في التجارب التي عاشوها ،أو في وصف الأحداث التي مرت بهم ،أو في الحكم التي حصلوا عليها في أعمارهم المديدة ، فأكسبتهم خبرة اوصلوها للأجيال عن طريق الوصايا التى اتحفوا بها ذويهم (١)، أو نصحوا بها قومهم (٢)،كما أن الأقوال والأحاديث التي حفظوها ورووها (٣)لاسيما فيما يتعلق بالشريعة الاسلامية كأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وخصوصا اذا رويت عن طريق معمر ثبت عدل ضابط ،فانها تعطي لروايته اهمية خاصة .

ومن أقدم من كتب عن المعمرين : المؤرخ المحدث ابن منده في كتابه " ذكر من عاش مائة وعشرين سنة من الصحابة رضي الله عنهم " (٤)،وأبو حاتم السجستاني في كتابه " المعمرون " عرض فيه أقوالهم وحكمهم واشعارهم وشكاويهم ... الخ .

---

(١) كتاب المعمرون والوصايا ،تحقيق عبد المنعم عامر ،دار احياء الكتب العربية ١٩٦١م .

(٢) انظر: على المرتضى،الفصول الخاصة بالمعمرين في كتاب " الغرر والدرر"، والراغب الاصبهانى ،كتاب " محاضرات الأدباء " وابن حمدان كتاب " التذكرة " كتاب " المستطرف من كل فن طرف " وغيرهم أمثال ابي الحجاج يوسف البلوى وابن الجوزى والاشبهى .

(٣) انظر كتب الطبقات ففيها نبذة جيدة من أقوالهم .

(٤) انظر " السيوطى ريح النسرين فيمن عاش من الصحابة مائة وعشرين " تحقيق عدنان احمد مجدد ،دار الوفاء جدة ص ٤١ .

كما أن للامام ابن الفضل جلال الدين السيوطي كتاب " ريح النسرين فيمن عاش من الصحابة مائة وعشرين [1]" ترجم لهم فيه ترجمة مختصرة وذكر عدد الأحاديث التي رووها .

وكتابه هذا هو جزء مختصر من كتاب ابن منده الآنف الذكر .

وتعتبر مخطوطة " المعمرين " الموجودة بمعهد جوته ( ) بالمانيا من أهم الكتب المصنفة في أخبار المعمرين المحدثين ،وقد نشر الأديب " اليـاس عبده قدسي " صفحات من هذه المخطوطة سنة ١٨٨٣م .[2]

كما أن مجموع " الروض الأزهر فيمن عاش مائة عام فأكثر " لابن العربي [3] احتوى على نبذة جيدة من أخبارهم ،وقد عقد الكثير من المصنفين ممن جاؤوا بعد أبي حاتم السجستاني فصولا في كتبهم تناولوا فيها ذكر المعمرين وأخبارهم مثل: كتاب " الغرر والدرر " لعلي المرتضي وكتاب " محاضرات الأدباء " للراغب الأصبهاني وكتاب " التذكرة لمحمد بن الحسن بن حمدان ،وكتاب " المستطرف في كل فن مستظرف " للابشيهي وغيرهم أمثال ابي الحجاج يوسف البلوى صاحب كتاب " الف باء " وابي الفرج بن الجوزي ،كما أن كتب الوصايا تحتوى على نبذ من اقوالهم منها :

كتاب " تاريخ العرب الأولية ، للأصمعي ،وكتاب " الوصايا " لأبي حاتم السجستاني ، وكتاب " الوصايا " لدعبل الخزاعي ،وكتاب " وصايا الملوك وابناء الملوك " لأبي الطيب بن اسحاق الوشاء من علماء القرن الثالث الهجرى .... الخ .

---

(١) طبعته دار الوفاء بجدة سنة ١٤٠٥هـ بتحقيق عدنان احمد مجود .
(٢) المصدر السابق .
(٣) مكتبة آل المرحوم محمد بن احمد بن العربي ملف ١٥ .

وكلمة " معمر " تعني الرجل الذي طال عمره عندالعرب،ولايعد معمرا الا من عاش مائة وست وعشرين سنة فصاعدا ،والمعمرون الذين روى أخبارهم السجستاني تتراوح أعمارهم بين مائة وعشرين سنة وبين مائتين سنة .(١)وقد صارت اصطلاحا لغويا .

وورد في المعجم الوسيط : عمر الله فلانا : أطال عمره فهو معمر (٢).
وقد ساهم العديد من المؤرخين القدامى في جمع اقوال المعمرين من أجل التاريخ لمكة المكرمة ،ومن أقدمهم أبو عبد الله محمد بن اسحاق الفاكهي (م ... هـ) رحمه الله الذي نهج منهج المحدثين في توثيق مايقوله بادئا كلامه يحدثني أو حدثنا أو " أعطاني ... كتابا ذكر أنه عن أشياخه من أهل مكة فكتبته من كتابه فقالوا ... " (٣)أما ماراه أو عده أو قاسه فانه يكتبه مباشرة بعد عنوان الموضوع الذي يكتب عنه .

أما أبو الوليد الأزرقي ،محمد بن عبد الله بن احمد(ت ٢٤٧هـ)رحمه الله " فقد اختط لنفسه خطة سهلة سلسة ... عن طريق الرواية المعنعنة التي رأى الغربيون أنها أقوم طريق فاتبعوها في مؤلفاتهم مع تبديل طفيف ... " (٤)

---

(١) أبو حاتم السجستاني ،كتاب المعمرون والوصايا ،ص" ك " .
(٢) ابراهيم انيس ،المعجم الوسيط ،مجمع اللغة العربية ،ط ٢ بدار المعارف ١٣٩٣هـ ج ٢ ،ص . وانظر عن مشتقات "عمر " جمهرة اللغة، ابن دريد (ت٣٢١هـ) دار المعارف العثمانية حيدر أباد الدكن ١٣٤٥هـ ج ٢ ،ص ٣٨٧ ،ولسان العرب لمحمد بن مكرم بن منظور الافريقي المصري دار صادر بيروت ١٣٠٠هـ ،ط ١،ج ٤ ، ص ٦٠١ – ٦١٠ .
(٣) الفاكهي،اخبارمكةفي قديم الدهر وحديثه بتحقيق عبد الملك بن عبد الله بن درويش مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة ،مكة المكرمة ،ط ١ ،١٤٠٧هـ ،ج ٢ ،ص ٦٧ .
(٤) الأزرقي،أخبار مكة وماجاء فيها من الآثار ،مطابع دار الثقافة ،مكة المكرمة ط ٣ ،١٣٩٨هـ ،ص ٢١ .

وأحيانا كان يصف بنفسه مارآه أو قاسه مبتدئا بقوله : " قال أبو الوليد...". ثم يصف مارآه أو ذرعه أو عده .

أما الشيخ تقي الدين الفاسي ،محمد بن احمد الحسني المكي (٧٧٥م ٨٣٠) رحمه الله فقد كان كثيرا ما ينقلمشاهداته أو مشاهدات جده أو يروى سلسلة بسنده الى من شاهد الحدث أو الأثر الذي هو بصدد وصفه ،يقول رحمه الله : " ان نفسى تشوقت الى معرفة ماكان بعد أبي الوليد الأزرقي من أخبار ...فعرفت من ذلك طرفا جيدا ،بعضه من كتب التاريخ التي نظرتها لأجل التراجم ،وبعضه من أحجار ورخام وأخشاب مكتوب فيها ذلك ،ثابتة في بعض الأماكن المشار اليها وبعضه علمته من أخبار الثقات ،وبعضه شاهدته ،وعلقت ذلك في أوراق مفردة خيفة نسيانه من غير ترتيب ثم بدا لي تأليف ذلك ... ففعلت ذلك " .(١)

أما المؤرخ عز الدين عبد العزيز بن عمر بن فهد الهاشمي . القرشي (٨٥٠ ت ٩٢٢هـ) فقد اعتمد في تأليفه غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام على مصادر عديدة كان أهمها كتب والده عمر بنمحمد بن فهد (٨١٢م ٨٨٥هـ) يقول: " فجمعتها (أي تراجم اهل مكة) مما اطلعت عليه - بعد الفحص والاتقان - وغالبها من تاريخي والدي ... " (٢)وقد انفرد بالتاريخ للحقبة التي عاصرها وعايش أحداثها وهي الفترة التي تلت وفاة والده حتى ٨ جمادى الأولى ٩٢٢ حيث انتقل عبد العزيز بن عمر بن فهد الى جوار ربه .

---

(١) العقد الثمين في تاريخ البلد الامين ،مطبعة السنة المحمدية بالقاهرة ١٣٧٩هـ ،ج ١ ،ص ٨ .

(٢) غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام ،تحقيق /فهيم محمد شلتوت معهد البحوث العلمية ،ط ١ ،سنة ١٤٠٩هـ ،ج ٢ ،ص ٤ .

نستنتج من هذا أن منهج العز بن فهد في التأليف كان يعتمد أساسا على الأمانة العلمية في النقل من المعمرين الذين عاصرهم أو من الكتب الموثوقة الموثقة التي اطلع عليها ونقل منها وقد جعله قطب النهروالي الخامس في سلسلة الذين أرخوا لمكة المكرمة، فبدأها بالازرقي ثم الفاكهي ثم التقي الفاسي ثم النجم عمر بن فهد وتنتهي بابنه الشيخ عز الدين عبد العزيز بن فهد .

أما صاحب " الاعلام بأعلام بيت الله الحرام " محمد بن أحمد بن قاضي خان المعروف بقطب الدين النهروالي المكي الحنفي (م ٩٩٠هـ) فيقول : " تشوقت الى فن التاريخ وعلم الأخبار لاشتماله على حوادث الزمان ... فان ذلك عبرة لمن اعتبر ... ومن قيد ماشاهد فقد أشهد أحوال أهل عصره من لم يكن في عصره فأردنا افادة من بعدنا ببعض مارأينا وشهدنا ... اعلم أن من بركة العلم نسبته الى قائله ،وما لم يكن هناك سند بين الناقل الراوي ومن ينقل عنه فلا اعتماد على ذلك النقل ،ولابد أن يكون رجال السند موثوقا بهم والا فلا اعتبار لتلك الرواية وأقدم مؤرخي مكة ... الأزرقي ... ثم ... الفاكهي .... ثم ... الفاسي ... ثم عمر ... بن فهد ... ثم ولده ... عبد العزيز بن عمر بن فهد وهذا الأخير ممن أدركناه ولنا عنه رواية وأما الأولون فنذكر سندنا اليهم ليعتمد على نقلنا عنهم ... "(١) ثم يذكر سنده الى كل منهم .

---

(١) قطب الدين النهروالي ،الاعلام بأعلام بيت الله الحرام ،روائع التراث العربي ،د ت ،ص ٤ .

أما الشيخ محمد بن محمد بن ظهيرة القرشي(م ه)فقد بين منهجه في التاريخ لمكة المكرمة في كتابه " الجامع اللطيف في فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف " (١) بقوله : "وأحببت أن اجعل تعليقا لطيفا غير مختصر مخل ،ولامطول ممل ... أجمع فيه ماتفرق من منثور الكلام وأضم كل لفظ الى مناسبه ليحصل كمال الالتئام ،لما أن التأليف في هذا الوقت ليس هو الا كما قال بعضهم : جمع ماتشتت ورم ماتفتت ... مع تحرير عبارة ... مثبتا ذلك ... حسبما موجود في الأسفار مشروح عازيا كل قول غالبا الى قائله ... وأخرج بذلك من الدرك والعهدة . وما فتح الله به من كلامي على سبيل البحث ميزته بقولي في أوله بما صورته : أقول أو : بحث ،وفي آخره : انتهى ،أو : والله الموفق بالقلم الأحمر " .(٢)

لقد أخذ ابن ظهيرة في منهجه هذا بوجوب توثيق مايقوله واسناده الى من قاله وفرز كلامه عن كلام غيره من المؤرخين متصفا بذلك بالأمانة العلمية التي كانت ولازالت أهم أوصاف المؤرخ المسلم .

أما مؤرخي مكة المحدثين فقد اقتفوا مناهج من سبقهم في التاريخ عن طريق سلسلة الرواة واتصال السند بالاضافة الى استفادتهم من المصادر والمراجع التي بين أيديهم ،ومن مشاهداتهم الشخصية منهم الشيخ عبد الله بن محمد الغازي الهندي المكي (م ١٣٥٦ ه) رحمه الله الذي كان دائم الاشتغال بالتأليف ليلا ونهارا ،ومن أجل مؤلفاته : افادة الأنام بذكر أخبار بلد الله الحرام وهو أربع مجلدات (٣) اعتمد في مايكتبه على الأخبار الموثقة بالمصادر والمراجع .

---

(١) ابن ظهيرة ، الجامع اللطيف ،دار الباز مكة المكرمة ،ط ١٣٩٣،٤هـ ،ص ٣ .
(٢) المصدر السابق .
(٣) محمد طاهر الكردى ،كتاب التاريخ القديم لمكة وبيت الله الكريم ،مكتبة النهضة الحديثة ط ١ ،١٣٨٥هـ ،ج ١ ،ص ٢٢ .

أما صاحب الموسوعة التاريخية " كتاب التاريخ القديم لمكة وبيت الله الكريم " الشيخ محمد طاهر بن عبد القادر الكردى (و١٣٢١م ١٣) فقد نقل من الكتب المعتمدة في شتى العلوم ... يقول رحمه الله : " واذا نقلت شيئا نسبته الى الكتاب الذي نقلته منه بصريح القول والعبارة ،فهذا العمل أفضل وأسلم كما هو عادة العلماء من قديم الأزمان " " انني صنت كتابي هذا من كل مسألة ليست لها صحة ،ومن كل حادثة فيها شك أو ريب ... كما أنني التزمت ذكر الحوادث بدون مبالغة ولاتزييف فان ذلك مما ينفي الثقة من المؤلف ويذهب من بهاء الكتاب وقيمته .(١)

أما الاديب / أحمد السباعي (١٣٢٣م ١٤هـ) رحمه الله فقد اعتمد أساسا على المراجع والمصادر التي صادفها ،يقول : " كنت أقرأ ... مايصادفني ثم أدون ما استنتجته فيما يشبه المذكرات بعد أن أضيف اليه أسم الكاتب وصاحبه فاجتمعت لي مع السنين مدونات لاحصر لها ... عندما اعتمدت الكتابة في تاريخ مكة كان لابد لي أن اعتمد - كمصادر للكتاب - تلك المدونات التي عشت في جمعها ،وقد سهلت على تلك المدونات أعمالى لأنها أغنتنى عن مراجع كان يجب أن تتقاضاني عمرا جديدا خشيت ألا أعيشه لأبدأ كتابتي بعده " .(٢)

---

(١) الكردى،التاريخ القويم ١ : ١٢ .

(٢) تاريخ مكة / أحمد السباعي مطبوعات نادى مكة الثقافي ،ط ٦ ،١٤٠٤هـ ،ص ٨،٧ .

وكان قلما اعتمد في التاريخ على أقوال المعمرين بل جل مصادره اما مخطوطات أو كتب أو وثائق اعتمد مؤلفيها اساسا على التاريخ عن طريق مشاهداتهم أو عن طريق السند المتصل أو عن طريق أقوال المعمرين الذين أتيحت لهم الفرصة للقائهم .

المبحث الاول

الدراســة التاريخية

* نبذة تاريخية عن الحج وطرقه ومشاكله من كتب الرحلات وغيرها .
* اهتمام الخلفاء بالحج ومن حج منهم .
* طريق الحج ومشقاته .
* وصف طريق جدة ـ مكة عبر كتب التاريخ والرحلات .
* مكة المكرمة في بداية القرن العشرين الميلادى .
* وسائل النقل والتنقل في داخل مكة وبين المدن الرئيسية .
* وسائل تنقلات الحجاج وماكان متبعا فيها ونظام القوافل .
* المتاعب والمشاكل التى كان يواجهها الحج أثناء الطريق .
* التعديات على الحجاج .
* وصف الطريق فيما بين مكة والمدينة .
* الطريق الفرعى .
* طريق الغابر .
* الطريق الشرقي .
* شكاوى الحجاج .

نبذة تاريخية عن تاريخ الحج وطرقه ومشاكله من كتب الرحلات وغيرها :

الحج هو الركن الخامس من أركان الاسلام . وهو عبادة قديمة عرفتها الانسانية منذ أن دعا اليها أبو الأنبياء ابراهيم صلوات الله عليه .

فرض الله الحج على المسلمين في السنة التاسعة من الهجرة . وقد قام المسلمون بادائه في تلك السنة تحت امارة ابي بكر الصديق رضي الله عنه . وهو بذلك يعد أول أمير للحج في التاريخ الاسلامي .

تاريخ الحج عنصر عظيم الأهمية من عناصر التاريخ الاسلامي ،وكان المسلمون - قبل عهدهم بالأسفار الجوية والسفن البخارية والسيارات السريعة - يلاقون الكثير من المتاعب والمشاكل والمصاعب في سبيل اداء هذه الفريضة الدينية تحت ظلال الشراع في البحر وعلى ظهور الابل في البر في كل عام ،ومنهم من كان يختار المشي على الاقدام لينال الاكثر من الثواب على مايقوم به من هذه العبادة العريقة في القدم .

بدأت هذه الرحلة المقدسة - لأول مرة - من المدينة المنورة - على صاحبها أفضل الصلاة والتسليم - مكونة حلقة ذهبية أولى من حلقات سلسلتها والتي تلتها رحلات أخرى من الشام والعراق ومصر ، واليمن وآسيا الصغرى ،وما وراء النهر وقارة الهند . ومن أعماق القارة الافريقية ومن الاندلس. وغيرها من البلدان الاسلامية . ولم تنقطع هذه الرحلة المقدسة الى بيت الله الحرام في سنه من السنين الا عدة أعوام كاصابع اليد الواحدة .

اهتمام الخلفاء بالحج ومن حج منهم :

حظيت مكة المكرمة والحج باهتمام الامراء والخلفاء الذين أولوها جل اهتمامهم حيث الترتيب والتنظيم وذلك منذ أيام الرسول صلى الله عليه وسلم

حيث كان من واجب الخليفة ان يرتب وينظم قافلة الحج وأن يعين أميرا عليها يقوم بحراستها وتأمين احتياجاتها في الطريق من مأكل ومشرب وغيرها ، فظهرت بذلك في التاريخ الاسلامي طرق عرفت بدروب الحج مثل : طريق الحج اليمني ،وطريق الحج البصرى ،وطريق الحج العراقي ،وطريق الحج المصرى ، وطريق الحج الشامي وغيرها .

ومما هو معلوم أن أول قافلة حج جهزت وأرسلت الى بيت الله الحرام في التاريخ الاسلامي ـ هي قافلة أعدها الرسول صلى الله عليه وسلم وأرسلها الى بيت الله الحرام تحت امارة ابي بكر الصديق رضي الله عنه في السنه التاسعة من الهجرة حيث فرض الله تعالى حج بيته على عباده .

وفي السنه العاشرة من الهجرة حج الرسول صلى الله عليه وسلم حجة الوداع ومعه جمع غفير من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين .

ثم بعد ذلك حج بالناس الخلفاء الراشدون غير علي بن أبي طالب رضي الله عنه ففي السنه الثانية عشرة حج أبو بكر [1] ثم عمر بن الخطاب الذي دامت خلافته عشر سنوات حج فيها ماعدا الأولى من بداية خلافته . [2]

---

(١) تاريخ الطبرى ٥٠/٤ ؛والفاسى ،شفاء الغرام ٣٣٨/٢ ؛وابن الأثير؛الكامل ١٦٨/٢ ؛والبداية والنهاية ٣٥٣/٦ ؛ والذهب المسبوك ص ١٢ ،١٣ ،والجزيرى ، درر الفرائد ص ١٩١ ومابعدها ،وابن فهد ،اتحاف الورى ٣/٢ .

(٢) تاريخ الطبرى ٨٢/٤، ١٥٢، ١٦٨، ١٨٨، ٢٢٢، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٣١، ٢٥٠، ٢٦٧ والفاسى شفاء الغرام ٣٣٨/٢ ؛وابن الأثير ،الكامل ١٨٨/٢، ٢٠٧، ٢١٥، ٢٢٢، ٢٣٤، ٢٣٨، ٢٤٠ ؛ ٩/٣، ١٦ ؛ والجزيرى ،درر الفرائد ص ٦٦٠ ؛واتحاف الورى ٤/٢ ،٥، ٦، ٧، ٩، ١٠، ١١، ١٢، ١٣ .

ثم عثمان بن عفان رضي الله عنه ، الذى حج في خلافته ماعدا الاولى والأخيرة .(١)

ولم يحج علي بن أبي طالب رضي الله عنه كخليفة في خلافته لاشتغاله بحرب الجمل وصفين .(٢)

وفي الدولة الاموية حج الخليفة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه عدة مرات أولها سنة أربع وأربعين .(٣)

وفي سنة خمس وسبعين حج بالناس الخليفة عبد الملك بن مروان ابن الحكم بن أبي العاص .(٤)

وفي سنة احدى وتسعين وسنة خمس وتسعين حج بالناس الخلفة الوليد أبي عبد الملك بن مروان .(٥)

---

(١) تاريخ الطبرى ٥/٤٦، ٤٧، ٥١، ٥٤، ٦٨، ٧٧، ٩٢، ٩٨، ١٣٩ . والفاسى ، وابن الأثير الكامل ٣/٣٣، ٣٦، ٣٩، ٤٠، ٥٤، ٦١، ٦٤، ٧٣، وابن فهد ، اتحاف الورى ٢/١٩، ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٤ . والبداية والنهاية ٧/١٥١، ١٥٤، ١٧٠، ١٨٧ ؛ والجزيرى ، درر الفرائد ص ٦٦٠ .

(٢) الجزيرى ، درر الفرائد ، ص ٦٦٠ .

(٣) تاريخ الطبرى ٦/١٢٣ ؛ والفاسى ، شفاء الغرام ٢/٣٣٩ ؛ وابن الأثير ، الكامل ٣/١٢٣، ٤٤٦ ؛ وابن فهد ، اتحاف الورى ٢/٣٤ ؛ والجزيرى ، درر الفرائد ص ١٩٥، ٦٦١ ومابعدها .

(٤) الأزرقى ، أخبار مكة ٢/١٣٠ ؛ والفاسى ، شفاء الغرام ٢/٣٤٠ ؛ وابن الأثير ، الكامل ٤/٣٩١ ؛ وابن فهد ، اتحاف الورى ٢/١٠٥ ؛ والجزيرى ، درر الفرائد ص ٢٠١، ٦٦١ .

(٥) تاريخ الطبرى ٨/٨٢ ؛ ومروج الذهب ٤/٣٩٩ ؛ والفاسى ، شفاء الغرام ٢/٣٤٠ ؛ وابن الأثير ، الكامل ٤/٥٥٤ ؛ وابن فهد ، اتحاف الورى ٢/١٢٨ ؛ والجزيرى ، درر الفرائد ص ٢٠٣ .

وفي سنة سبع وتسعين حج بالناس سليمان بن عبد الملك بن مروان مـــرة واحدة .[١]

وفي سنة ست بعد المائة حج بالناس هشام بن عبد الملك[٢] بن مروان وقال الجزيري[٣]: ولم يحج بعد هشام أحد من بني أمية وهو خليفة .

وفي الدولة العباسية :

فأول من حج منهم : الخليفة أبو جعفر المنصور عبد الله بن محمـــد ابن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم ،حج بالناس مرارا وذلك في سنوات : ١٤٠ - ١٤٧ - ١٤٨ - ١٥٢ هـ[٤] وفي حجة سنة ثمان وخمسين ومائـــة مات في الطريق ودفن ببئر ميمون الواقعة بالقرب من مكة المكرمة .[٥]

- وفي سنة ستين ومائة وسنة أربع وستين ومائة حج بالناس المهدى أبـــو عبد الله محمد بن أبي جعفر المنصور .[٦]

---

(١) الأزرقي ،أخبار مكة ٢٢٠/١، ٢٢١ ؛والفاكهى ،أخبار مكة ٣٠٣/٢ ؛والفاســـى، شفاء الغرام ٣٤٠/٢ ؛وابن فهد ،اتحاف الورى ١٢٩/٢ ؛والجزيرى درر الفرائد ص ٢٠٣ ،٦٦١ ؛وابن الأثير ،الكامل ٢٦/٥ .

(٢) تاريخ الطبرى ١٨٢/٨ ؛ومروج الذهب ٤٠٠/٤ ؛والبداية والنهاية ٢٣٤/٩ ؛وابـن فهد ،اتحاف الورى ١٣٩/٢ ؛والجزيرى ،درر الفرائد ص ٢٠٥ ، ٦٦١ .

(٣) الجزيرى ،درر الفرائد ص ٦٦١ .

(٤) تاريخ الطبرى ١٧٣/٩ ،٢٧٥ ،٢٧٦ ؛ومروج الذهب ٤٠١/٤ ،٤٠٢ ؛والفاسى ،شفاء الغرام ٣٤١/٢ ؛وابن الأثير ،الكامل ٥٠٠/٥ ،٥٨٣ ،٥٨٩ ؛والبداية والنهاية ١٠٥/١٠ ؛فهد . اتحاف الورى ١٧٧/٢ ،١٨٨ ،١٨٩ ،١٩١ ؛والجزيرى ،درر الفرائد ص ٢١٠ .

(٥) الفاسى ،شفاء الغرام ٣٤١/٢ ؛وابن فهد ،اتحاف الورى ١٩٥/٢ ؛والجزيرى ، درر الفرائد ص ٢١١ .

(٦) تاريخ الطبرى ٣٣٧/٩ ؛ومروج الذهب ٤٠٢/٤ ؛والفاسى ،شفاء الغرام ٣٤١/٢ ؛ وابن الأثير ،الكامل ٤٨/٦ ؛وابن فهد ،اتحاف الورى ٢٠٣/٢ ،٢١٤ ؛والجزيـرى درر الفرائد ص ٢١٥ ،٢١٧ ،٦٦٢ .

وحج بالناس الخليفة هارون الرشيد بن محمد المهدى بن أبي جعفر المنصور احدى عشرة مرة ،وكان يغزو سنة ويحج سنة . وفي حجة سنة ١٧٠هـ قسم بالحرمين عطاء كثيرا ،وفي حجة سنة ١٧٩هـ حج ماشيا وشهد المشاعر كلها .(١)

وفي سنة اثنتي عشرة ومائتين حج بالناس الخليفة المأمون عبد الله بن هارون الرشيد الهاشمي العباسي .(٢)

وفي سنة ست وثلاثين ومائتين حج بالناس الخليفة المعتصم بالله محمد بن المتوكل على الله جعفر بن المعتصم بالله أمير المؤمنين ابن هارون الرشيد العباسي .(٣)

ومن الملوك :

ـ حج الملك الصليحي علي بن محمد بن علي ملك اليمن سنة خمس وخمسين وأربعمائة وفعل فيها أفعالا جميلة من العدل والاحسان ومنع المفسدين .(٤)

وحج الملك العادل نور الدين محمود بن عماد الدين اتابك بن زنكي ابن أبي سعيد سنة ست وخمسين وخمسمائة .(٥)

---

(١) الفاسى ،شفاء الغرام ٣٤٢/٢،وابن الأثير ،الكامل ١٠٩/٦ ،١٢١ ،١٤٠ ،١٤٦ ، وابن فهد ،اتحاف الورى ٢٢٢/٢ ،٢٢٦ ،٢٢٧ ،٢٣٠ ،٢٣١ ،٢٣٤ ،وتاريخ الطبرى ٥٤/١٠ ،ومروج الذهب ٤٠٣/٤ ،والجزيرى ،درر الفرائد ص ٢١٩ ،٢٢١ ،٢٢٢ ،٢٢٣ .

(٢) الجزيرى ،درر الفوائد ص ٢٢٦ .

(٣) المصدر السابق ،ص ٢٢٩ .

(٤) الفاسى ،شفاء الغرام ٣١٠/٢ ،٣٦١ ،وابن الأثير ،الكامل ٣٠/١٠ ،والجزيرى درر الفرائد ص ٦٦٣ ،وابن فهد ،اتحاف الورى ٤٦٨/٢ .

(٥) الفاسى ،شفاء الغرام ٣٦٥/٢ ،والجزيرى ،درر الفرائد ص ٢٦١ ،٦٦٣ ومابعدها وابن فهد ،اتحاف الورى ٥٢٤/٢ .

- وحج في سنة احدى عشرة وستمائة من الشام على الهجن الملك العظيم شرف الدين أبو الفتح عيسى ابن الملك العادل سيف الدين بن أيوب ،وبني البركة وعدة مصانع ،وتصدق على أهل الحرمين بصدقات جزيلة .(١)

وفي سنة تسع عشرة وستمائة حج الملك المسعود صلاح الدين أبو المظفر يوسف بن الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب صاحب اليمن واظهر فيها من الجرأة على القبائح التي لاتتناسب مع قدسية الحرم (٢) الشريف .

وفي سنة احدى وثلاثين وستمائة حج الملك المنصور نور الدين عمر ابن علي بن رسول الكردى ملك اليمن بعد موت الملك المسعود ،وهو أول ملوك اليمن من بني رسول .(٣)

وفي سنة ثلاث وخمسين وستمائة حج الملك الناصر ابو شادى داود بن الملك المعظم أبي الفتح عيسى بن أيوب وسكن الفتنة التي كادت أن تقع بين أهل مكة وبين الركب العراقي .(٤)

وفي سنة سبع وستين وستمائة حج السلطان الملك الظاهر ركن الدين أبو الفتح بيبرس البندقدارى الصالحي ،وهو أول من ادار المحمل وكسا الكعبة من ملوك مصر . حج في ثلاثمائة مملوك وجماعة من أعيان الخليفة وغيرهم ،وتصدق في الحرمين بمال عظيم .(٥)

---

(١) الفاسى ،شفاء الغرام ٢/٣٧٣ ،والجزيرى ،درر الفرائد ،ص ٦٦٤،وابن فهد ، اتحاف الورى ٣/١٩ .

(٢) الفاسى ،شفاء الغرام ٢/٣٧٥ومابعدها ، الجزيرى ،درر الفرائد ص ٢٧٤،٦٦٤ ، وابن فهد ،اتحاف الورى ٣/٣٤ .

(٣) الفاسى ،شفاء الغرام ٢/٣٧٨ ،والجزيرى ،درر الفرائد ٦٦٥ .

(٤) المصدران السابقان : شفاء الغرام ٢/٣٨٠ ،درر الفرائد ص ٦٦٥ ،٦٧٢ ومابعدها وابن فهد ،اتحاف الورى ٣/٧٨ .

(٥) الفاسي ،شفاء الغرام ٢/٣٨٢ ،٣٨٣ ،والجزيرى ،درر الفرائد ٦٦٥ ،وابن فهد ، اتحاف الورى ٣/٩٤ .

- وفي سنة أربع وتسعين وستمائة حج الملك المجاهد أنس ابن السلطان الملك العادل كتبغا المنصوري صاحب الديار المصرية والشامية ففرق أموالا في مكة .[(١)]

وفي سنة سبع وتسعين وستمائة حج من مصر الخليفة الملقب بالحاكم ابو العباس أحمد بن علي بن أبي بكر وهو أول خليفة سكن بمصر وحج منها سلطان مصر يومئذ المنصور لاجين . [(٢)]

- وفي سنة اثنتى عشرة وتسع عشرة واثنتين وثلاثين وسبعمائة حج من الشام الملك الناصر محمد بن قلاوون الالفي الصالحي مع جماعة من الأمراء ومن أعيان الفقهاء وغيرهم ،وتصدق في حجاته على أهل الحرم .[(٣)]

- وفي سنة اثنتين وأربعين وسنة اثنتين وخمسين وسبعمائة حج الملك المجاهد علي بن رسول صاحب اليمن وعم بصدقته أهل مكة .[(٤)]

- وفي سنة ثلاث عشرة وثمانمائة حج الملك المنصور حسن بن المؤيد سليمان بن الحسين صاحب كلوة وتصدق على أعيان الحرم .[(٥)]

---

(١) الفاسي ،شفاء الغرام ٣٨٥/٢ ،والجزيري ،درر الفرائد ص ٦٧٥ ،وابن فهد ، اتحاف الورى ١٢٦/٣ .

(٢) الفاسي ،شفاء الغرام ٣٨٦/٢ ،وابن فهد ،اتحاف الورى ١٣٠/٣ .

(٣) الفاسي ،شفاء الغرام ٣٨٨/٢ ،٣٨٩ ،٣٩٣ ،وابن فهد ،اتحاف الورى ١٤٩/٣،١٦٤، ١٩٨ ،١٩٩ ،والجزيري ،درر الفرائد ص ٦٦٥ ،٦٧٥ ومابعدها .

(٤) الفاسي شفاء الغرام ٣٩٤/٢ ،٣٩٥ ،والبداية والنهاية ٢٣٧/١٤ ،وابن فهد ، اتحاف الورى ٢٢٠/٣ ،٢٤٥ ،والجزيري ،درر الفرائد ص ٦٦٧ ،٦٧٩ ومابعدها .

(٥) الفاسي ،شفاء الغرام ٤٠٦/٢ ،وابن فهد ،اتحاف الورى ٤٨٣/٣ ،والجزيري ،درر الفرائد ٦٨٢ .

- وفي سنة ثمان وثلاثين وثمانمائة حج الملك الناصر حسن صاحب دمرة ابن أبي بكر بن حسين بن بدر الدين ملك دمرة التي تسميها العامة ديبة وهي جزيرة في البحر تجاورسيلان .(١)

- وفي سنة أربع وثمانين وثمانمائة حج السلطان الملك الأشراف أبو النصر قايتباي وهو آخر من حج من ملوك مصر ،وطوفه القاضي الشافعي برهان الدين بن ظهيرة . (٢)

واذا لم يتمكن الخليفة من أداء فريضة الحج بنفسه كان يعين شخصا آخر ينوب عنه في مهمته ،واعتبر جميع الحكام في البلاد الاسلامية خدمة الحجاج والاماكن المقدسة وارسال الصرر ،والهدايا لأهل الحرمين شرفا عظيما وبذلك انفقوا أموالا طائلة في سبيل راحة الحجاج وتأمين الأمن والماء والاحتياجات البشرية الأخرى طوال طريق الحج وفي كل من مكة المكرمة والمدينة المنورة من المرافق العامة .

واستمر ارسال قوافل الحجاج من البلاد الاسلامية رسميا حتى سقوط الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى ،ونتيجة انهزام الدولة العثمانية في الحرب والتي كانت مقر الخلافة الاسلامية تفرق العالم الاسلامى ووقع بعض البلاد الاسلامية في أيدى المستعمرين من الدول المسيحية . ونتيجة هذا التغير التاريخى في العالم الاسلامي انقطع ارسال المحامل الى بيت الله الحرام غير أن مصر استمرت في ارسالها حتى نهاية الخمسينات .

---

(١) الجزيرى ،درر الفرائد ص ٦٨٢ .

(٢) القطبي ،الاعلام بأعلام بيت الله الحرام ٢٢٩ ومابعدها ،والجزيرى ، درر الفرائد ص ٦٨٢ ومابعدها .

ثم بعد ذلك بدأ تنظيم الحج من قبل قاصديه بأنفسهم وبدأوا يأتـــــون فرادى أو مجموعات عن طريق الشركات السياحية الخاصة المحلية .. (١)

---

(١) انظر تاريخ الحج من وادى نهر السند ،ص ٣٩ ،ومابعده . تقرير من تقارير المركز .

طريق الحج ومشقاته :

قال البتنوني في رحلته :

" وكانت طريق الحج الى بيت الله الحرام كلها مشقات واخطار في الزمن السابق بما كانت تلقيه يد الطبيعة في سبيلهم من الشدائد الطبيعية التي كانت تفتك بسوادهم في الطريق من حر الصيف وقر الشتاء أو جفاف ماء الآبار في هذه الصحراء المحرقة .

وعدا هذه الشدائد الطبيعية فكثيرا ماكانت توقع بهم يد أشرار الاعراب، وكثيرا ماكان تجاذب السلطة بين اشراف مكة وبعضهم أو حربهم مع قبائل الاعراب، أو اختلاف أهل مذهب مع أهل مذهب آخر ،ويقفل في وجوه الحجاج أبواب مكة أو المدينة بعد وصولهم الى هذه أو تلك فيرتدون عن الأولى من غير تأدية المناسك وعن الثانية بدون زيارة الرسول صلى الله عليه وسلم .

وغالبا ماكانت تشتتهم يد الفوضى وتعرض لهم حال الضعف الى النهب والسلب ،كل ذلك كان يحصل لحجاج بيت الله الحرام والناس لايمنعهم عنه مانع . ولم يسمع انهم انقطعوا عنه من انفسهم في سنة من السنين الا أيام القرامطة التي كانت مقطوعة عليهم ".(١)

ولذلك كان الحجاج اذا طلعوا الى اداء هذه الفريضة كانوا أول ما يستعدون على سلاحهم كأنهم سائرون الى دار حرب لا الى دار قد أمن الله فيها حياة الانسان والحيوان ،بل وحياة الاشجار .(٢)لأن رسول الله صلى الله عليه

---

(١) البتنوني ،الرحلة الحجازية ،ص٢٠٩ ومابعدها .

(٢) القطبي ،اعلام الأنام بتاريخ بيت الله الحرام ،ص ٦٧ .

وسلم قال يوم فتح مكة : ان مكة حرام حرمها الله عزوجل يوم خلق السموات والأرض والشمس والقمر ،ووضع هذين الاخشبين لم تحل لأحد قبلي ولاتحل لاحد بعدى ،ولم تحل لي الا ساعة من نهار ،لا يختلا خلالها ،ولايعضد شوكها ،ولا ينفر صيدها ،ولاترفع لقطتها ،الا لمن انشدها ،فقال العباس رضي الله عنه : الا الاذخر يارسول الله فانه لاغنى لأهل مكة عنه فانه للقين والبنيان فقال صلى الله عليه وسلم الا الاذخر . (١)

فاذا عاد الحجاج الى بلادهم استقبلهم أهلوهم وذووهم بالطبل والزمر فيقيمون بهذه المناسبة الافراح والليالي الملاح بعد ان يعودوا اليهم كل مافيه راحتهم ومايدخل السرور على نفوسهم معنويا ومظهريا .... كغسل الدور وتجديد ماقدم عهده فيها من فرش وغيره .

وكانت الطبقة الصغرى وهي سواد الحجاج - واكثرهم مشقة طبعا - تزوق لهم واجهات منازلهم فيرسمون عليها صورة المحمل وقافلته وحرسه ،يرسمون الى جانبها نخلة قد ربط الى جذعها سبع وضبع في سلسلتين من حديد ويقرب منهما رجل قد اشهر سيفه في يده اشارة الى ان صاحبنا الحاج العائد قد تغلب بقوته وشجاعته على ماصادفه في طريقه هذا من مخاطر ومهالك .(٢)

---

(١) الازرقي : تاريخ مكة ١٢٦/٢ .
(٢) البتنوني ،الرحلة الحجازية ،ص ٣١٠ .

وصف طريق جدة ـ مكة عبر كتب التاريخ والرحلات :

كان الحاج في الزمن السابق يقطعون طريق جدة ـ مكة خلال يوم أو يومين اما ماشيا على الأقدام ،أو ركوبا على الجمال والبغال والحمير والخيول . والطريق بين جدة ومكة واد رملى الا في موضعين منه حيث يوجد حصى صغير الحجم وكبيره ، ولكن ذلك لايشغل من الطريق الا حوالى نصف ميل ،وقبيل مكة بنحو أربعة أميال كان يوجد مدرج حجرى مرتفع قليلا ،ثم بعده يستوى الطريق وان كان حجريا ،وتكثر فيه التعريجات حتى يخيل الى الناظر أن الطريق سد لاقتراب الجبال المواجهة ،والوادى يحفه من الجانبين الجبال والتلال التى تارة تتقارب فيضيف الوادى ،وتارة أخرى تتباعد فيتسع ،وفي الطريق بضع عشرة قهوة لراحة الحجاج ،وتقديم الشاى والقهوة لهم .

وتوجد أيضا مجموعة من القلاع في جانبي الطريق ،وكان يقيم بها في العهد العثمانى جنود الأتراك لحماية الحجاج وأمن الطريق من تعديات وغارات الأعراب على الحجاج ،وقطاع الطريق .(١)

وكان الحجاج في القديم يسيرون في هذا الطريق ويمرون بالمحطات التالية التى ذكرها ابن مجاور في القرن السادس عندما ذار مكة المكرمة لغرض أداء الحج.

كان يتجه ركب الحجاج من مكة المكرمة الى " عين أبو سليمان " التي تبعد عن مكة فرسخا واحدا ،ثم يتجه الركب الى " مقتلة الكلاب " التي اليها الطريق فرسخ واحد ،ثم الى " حدة " التي هي آخر حدود وادى الصفراء ،والمسافة

---

(١) ابراهيم رفعت ،مرآة الحرمين ،٢٤/١ .

اليها من مقتلة الكلاب فرسخ واحد . ،ثم يتجه الى " القرين " ومنها الى " الكتانة " ،ومنها " التديين " ،ومنها الى " السدرة " ومنها الى " الغار" ومنها الى " الفج الأخضر " ومنها الى " الفرع " ،ومنها الى " أبي الرحم " ومنها الى " الهنود " ومنها الى " الميثة " . ومنها الى " جدة " .والمسافة بين محطة وأخرى تتراوح بين فرسخ واحد وبين نصف فرسخ .(١)

وقد وصف لنا الطريق ابراهيم رفعت في كتابه مرآة الحرمين والذى كان قوماندان المحمل المصري ،مهتما بالقلاع العسكرية التي انتشرت بين مكة وجدة والتي كان لها دور في حماية أمن الحاج والطريق ،حيث كانت تقطن في هذه القلاع الحاميات العسكرية لحماية الطريق والحجاج من اعتداءات القبائل عليهم . وقد وصف محطات هذا الطريق والتي تغيرت أسماؤها بمرور الزمن ،بأدق عن سابقيها وكان الحجاج الذين يصلون الى جدة في بداية القرن العشرين الميلادى يسيرون في هذا الطريق مارين بالمحطات التالية .

كان يتجه ركب الحاج من جدة الى " رأس القائم " التى تبعد عن جدة ثلاث ساعات و٢٥ دقيقة ،والتي كان يوجد بها مقهى ومخفر ،ثم الى " الرغامة " التي توجد بها قلعة ومقهى ،ثم يتجه الركب الى محطة " جرادة " وبها مقهى وبئران على مائة متر من المحطة ،ومنها الى " قلعة الكتانة " ،ومنها الى " قلعة الكتانة الثانية " ومنها الى " القلعة البيضاء " ،ومنها يتجه الركب الى " قلعة العبد " أو " قلعة سالم " ،ومنها الى " قلعة الثديين " ثم الى " بحرة " التى توجد بها أكواخ ،وخظائر للابل ،ومقاهى ومسجد صغير بنى أصله الرسول صلى الله عليه وسلم حين انصرافه من الحديبية سنة ثمان من الهجرة ،ويتفرع منها طريق آخر الى مكة يسير نحو الجنوب الشرقي يقال

---

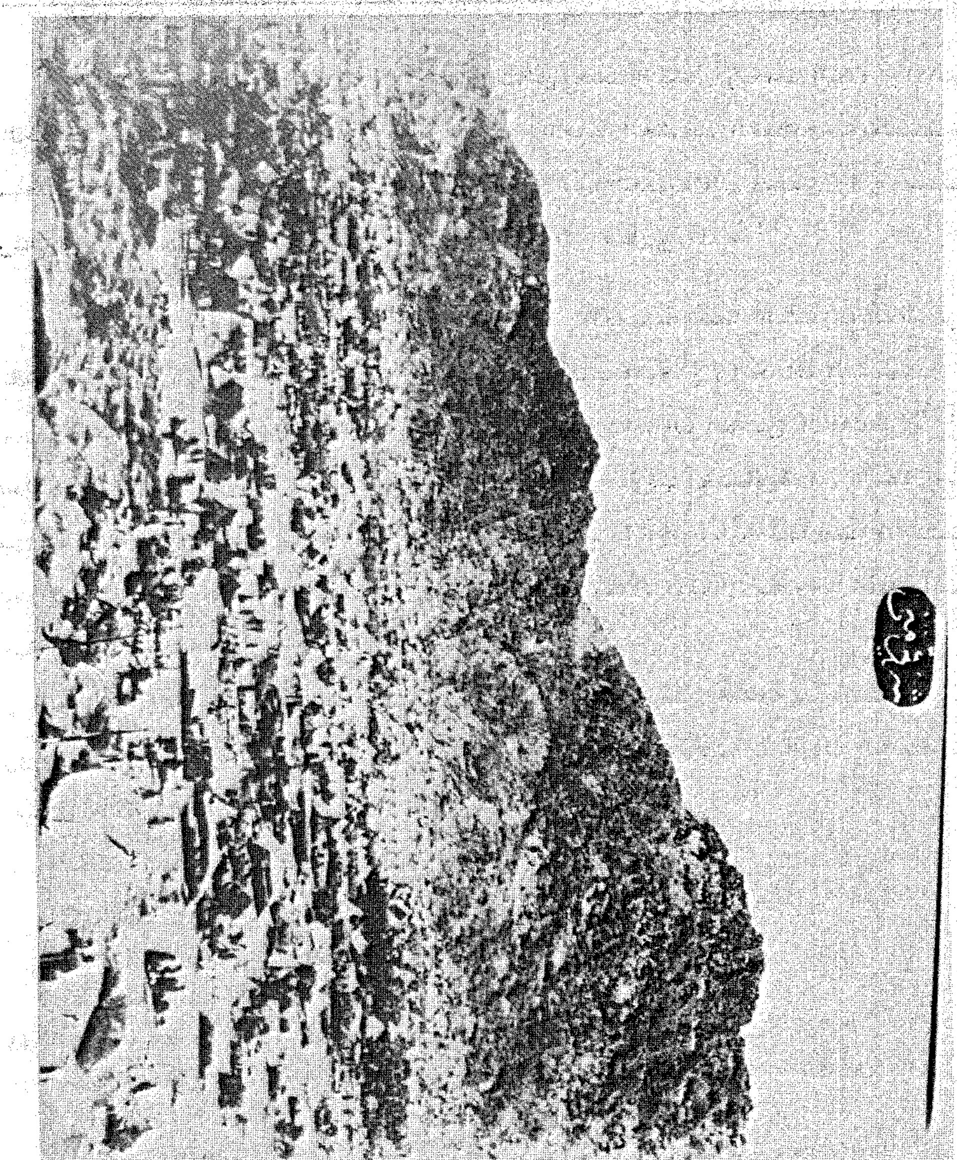
(١) ابن مجاور ،تاريخ المستبصر ،ص ٤٠ ومابعدها .

أنه أقرب وأسهل من الطريق الذى نحن بصدد وصفه ،ثم يتجه الركب الى " بئر أم القرون " ،ومنها الى " حدة " وهي بلدة صغيرة ،بها حصن ومسجد ،وعين مـــاء حلوة ،وبئران وبساتين ،ومنها الى " قلعة الشميسى " وبها مقهى وبعض الأكواخ ومسجد يسمى بمسجد الشميسى أو مسجد البيعة ،وبئر ،ومنها الى " قهوة العبـــد" أو " البزم ،أو سالم أو البوغاز " ،ومنها الى " قلعة المقتلة " وبها بئــر ومنها الى " أم الدود " ،ثم الى " قهوة البستان " ثم الى " قهوة المعلــم" بالجرول . وهنا ينتظر المطوفون الحجاج لاستقبالهم .(١)

---

(١) ابراهيم رفعت ،مرآة الحرمين ٢٤/١ ومابعدها .





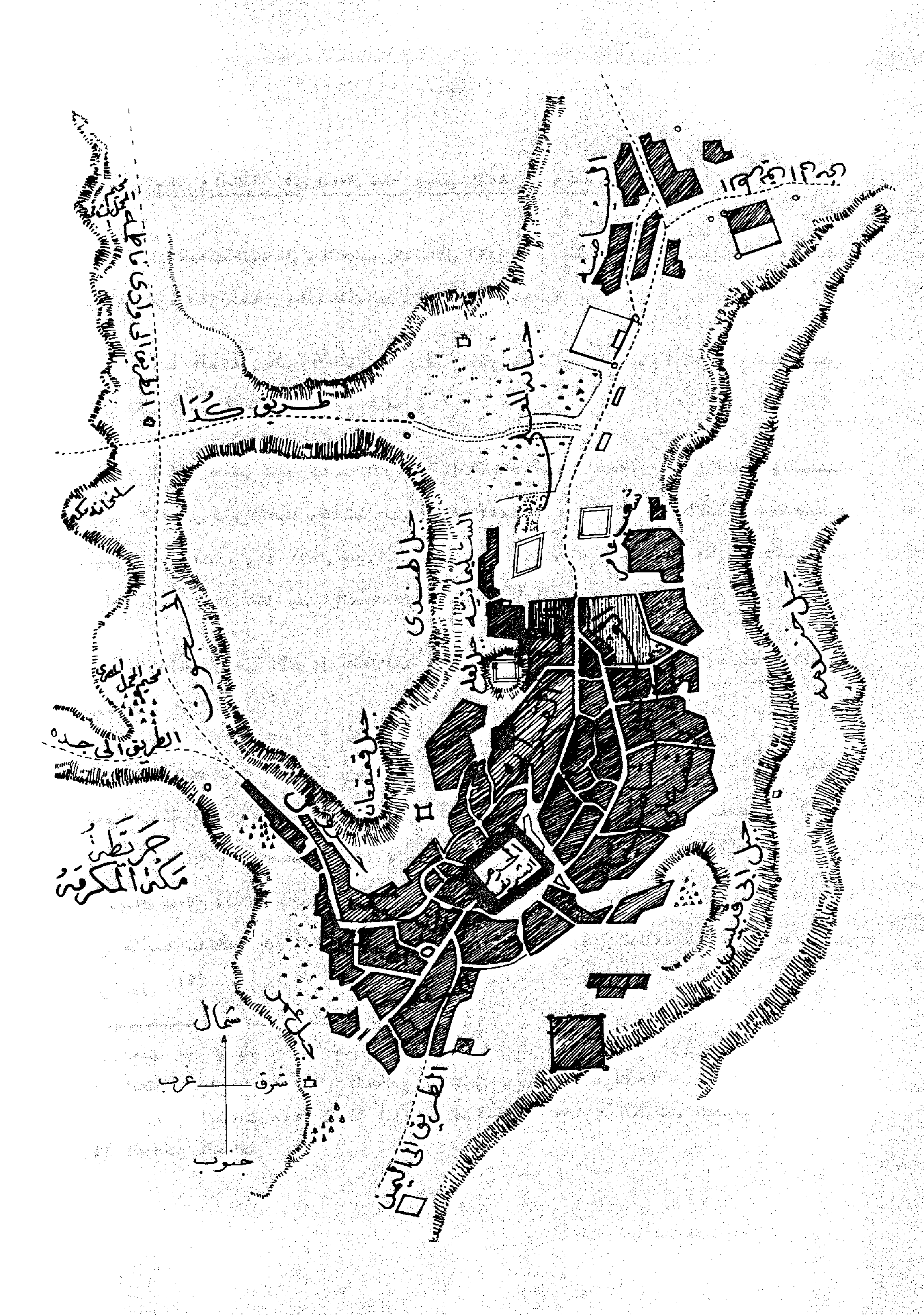
مكة المكرمة في بداية القرن العشرين الميلادى :

كانت مكة المكرمة تزيد عمارتها وتنقص بحسب الازمان وبحسب الولاة والامن والخوف . والغلاء والرخاء ،ونراها في بداية القرن العشرين الميلادى توسعت مساحتها العمرانية حتى وصل طولها من الشمال الى الجنوب الى ميلين وعرضها شرقا من جبل ابي قبيس الى اسفل جبل قعيقعان الى ميل واحد . (١)

وكان قد بلغ عدد منازلها الى نحو سبعة آلاف بيت منها الكبير والصغير، وثلاثة آلاف دكان (٢) ،وقد بنيت هذه البيوت على حسب اعوجاج وانحراف الوادى ، وبنى بعضها فوق بعض حتى انصاف سفوح الجبال التي تحف الوادى من الجانبين (٣) ولذلك كان جل شوارع مكة ،خصوصا في الحوارى متعرجة وغير متساوية في السعة ... فترى الزقاق أو الشارع يضيق احيانا ويتسع أحيانا أخرى مما جعلها غير قابلة للتجول في داخل احياء مكة بالحيوان وغير قابلة لنقل الاثقال بالجمال أو بأية دابة اخرى في داخلها . (٤)
لأن البناء لم يكن مراقبها كما ينبغي وكان كل انسان يبني حسبما يريده دون مراعاة لما يجب ان تكون عليه الشوارع (٥) اضافة الى ذلك الظروف الطبيعية والظروف الجغرافية لأراضي مكة المكرمة .

---

(١) ايوب صبري : مرآة الحرمين ،قسم مرآة مكة ٢٦/١ وما بعدها .
والبتنوني : الرحلة الحجازية ص ٣٨ .
وابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ١٧٨/١ .
(٢) البتنوني ص ٣٨ وابراهيم رفعت ١٨٤/١٢ .
(٣) ايوب صبرى ،قسم مرآة مكة ٢٦/١ وانظر ايضا محمد عمر رفيع : مكة في القرن الرابع عشر الهجرى ص ٢٤ .
(٤) المصدران السابقان .
(٥) محمد عمر رفيع : مكة في القرن الرابع عشر الهجرى ،ص ٢٤ .


خريطة
مكة المكرمة
الطريق الى جده
مخيم المحمل المصري
طريق كدا
جبل عمر
الطريق الى اليمن
شمال
شرق
غرب
جنوب

وسائل النقل والتنقل في داخل مكة وبين المدن الرئيسية :

استخدمت البغال والحمير كوسائل نقل داخل مكة وبين المدن واستخدمت الجمال كوسيلة للنقل والتنقل بين المدن الرئيسية .

اما التنقل على الخيل التي قد تكون خاصة بالاشراف والامراء والبعض الآخر فقد اتخذوا البغال مطية لهم .

اما الحمير فقد كانت الوسيلة الشايعة لدى الجمهور وكان لهم بها عناية كتجميل لبراذعها وكانت على أنواع فمنها مايسمى (التراسية) ومنها مايسمى (مقعد) وهو اجمل من التراسية في الشكل . ومنها نوع مايسمى (القولاني) وهو شكل بين المقعد والسرج .(١)

والجمال في الأحوال العادية وسيلة تنقل فيما بين المدن وعليها الشقادف المختلفة الأنواع .(٢)

وكانت توجد في مكة وسيلة اخرى كان يستعملها الامراء وعلية القوم وأولو الثراء وتعرف بـ (التختروان) (٣)وهناك ايضا توجد وسيلة أخرى تستعملها الطبقة المذكورة وهي : تصنع من الخشب مربعا ،وجوانبهما مسترة بمجدول الخيزران،وفي كل شباك يمكن للجالس فيه ان يطل منه وله أربعة سواعد ليحمل بها على الدابة وهي غالبا ماتكون من البغال . بغل من الامام وبغل من الخلف يشد كل ساعدين على بغل .(٤)

---

(١) محمد عمر رفيع : مكة في القرن الرابع عشر الهجرى ،ص ١١٣ .
(٢) انظر لأنواع الشقادف : المصدر السابق ،ص ١١٤ ومابعدها .
(٣) المصدر السابق ،وهي كلمة فارسية مركبة معناها : الكرسي السائر .
(٤) المصدر السابق .

وسائل تنقلات الحجاج وماكان متبعا فيها ونظام القوافل :

بعد النزول من عرفة كان الحاج ينتظر في مكة صدور أمر الشريف بسفر الحجاج منها ولايتم ذلك غالبا الا في الاسبوع التالي لنزولهم من حجهم [1]. وكذلك كان الحجاج لايخرجون من مكة الى المدينة الا في ركب القافلة التي تكون جمالتها من أهل الطريق الذي يسيرون فيه ، والمتعهد هو الذى كان ينقلهم الى المدينة المنورة ومن جدة واليها هيئة تسمى هيئة المخرجين المتعهدين ولهؤلاء شيخ ينصبه الامير ، وتتبعهم جماعة يسمونهم (المقومين) والتقويم معناه [2]: تقدير حمولة الجمل من عفش الحجاج وركوبهم واغلب الفئتين كان من رجال قبائل "حرب" ممن تحضر وسكن مكة أو أحد اطرافها وحين يبتدىء موسم الحج من كل عام تقدر اجرة الجمل الذى تنوعت أحمالة وتباينت اعمالة [3] الى جمل الشقدف ويركبه اثنان ومعهما مايلزم من فراش ومؤنة يومية .

وجمل الحمل ويقال له (العصم) وقد خص لحمل المتاع ويركب فوقه رجل واحد أو رجلين ان كان المتاع قليلا .

وقد خصت اجور الجمال بنوعيها تبعا للاحمال والاعمال فحمل الشقدف أو الحمل لكل منهما أجر مخصوص .

وان كان العصم مركوبا بنفر أو نفرين دون شقدف فله أجر مخصوص ويشتمل التقدير على اجرة الجمل والمخصص للمخرج والمقوم مقابل عملهما وخدماتهما .

---

(١) البتنوني : الرحلة الحجازية ، ص ٢٠٦ .
(٢) محمد رفيع : مكة في القرن الرابع عشر الهجرى ، ص ١٧٥ .
(٣) المصدر السابق : والبتنونى : الرحلة الحجازية ص ٢١٣ ومابعدها .

وللمبلغ الذي يختص به الامير باسم (كوشان)،وكانت هذه الأسعار ترتفع وتنخفض على حسب مطامع ولاة الامور بمكة . وكانت اجرة جمل الشقدف سنة ١٣٢٨هـ ست ليرات عثمانية من مكة الى المدينة ــ ينبع .(١)

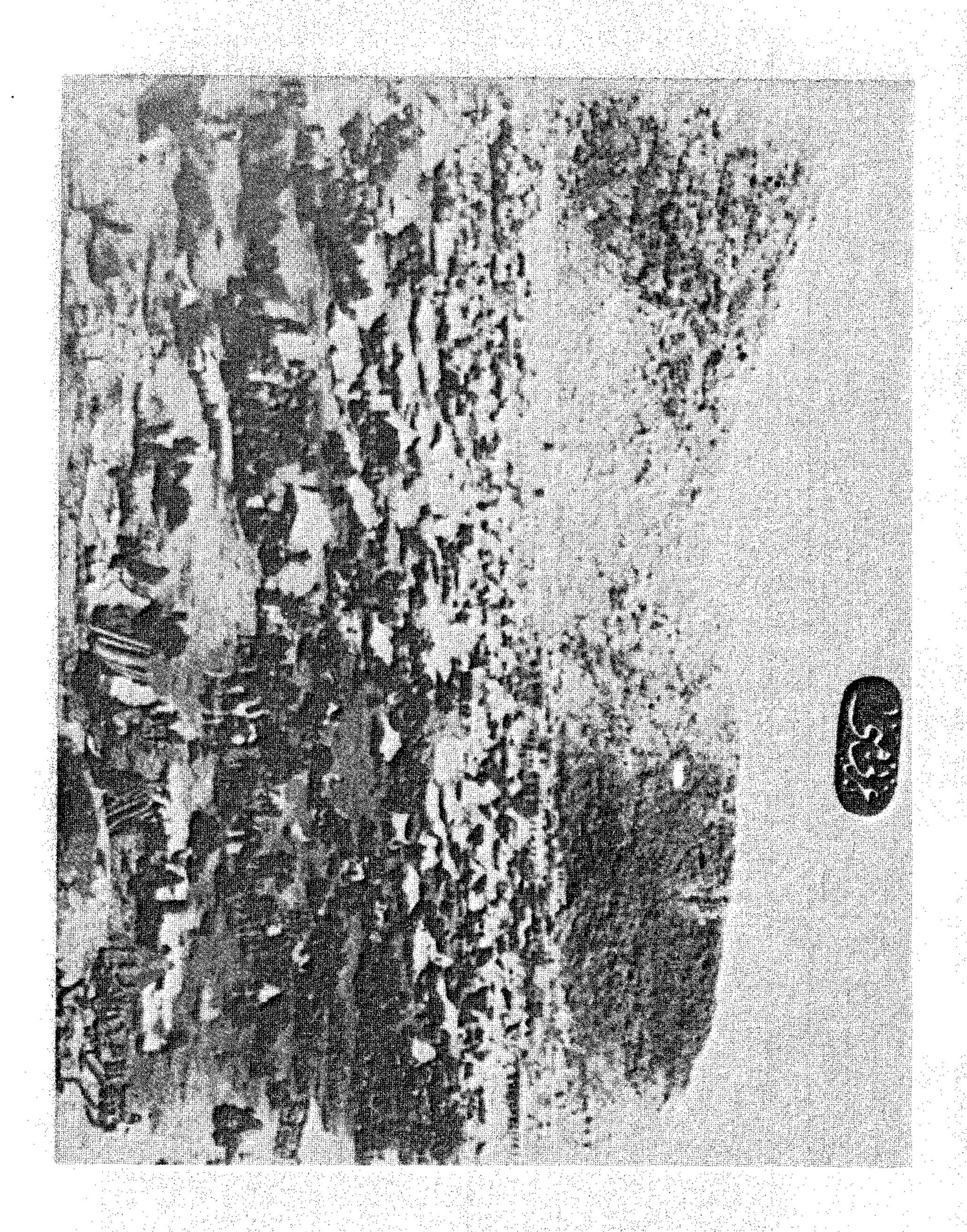
لكن هؤلاء الجمالة ماكانوا يكتفون بهذه الاجرة ولذلك اتجهوا الى الالحاف في مسألة الحجاج وذلك بعد مفارقتهم وبعدهم عن مكة وكثيرا ما اغلظوا لهم القول كقولهم لركابهم (جرجوش ــ هله ــ سكر ــ جرش) فيجيبه الحاج : انت اخذت . وآخر يقول : مابقي شيء ،ويكثر بينهم الجدال في الاخذ والرد حتى ينتهي اخيرا بأخذ الجمالة مايريدونه .(٢)

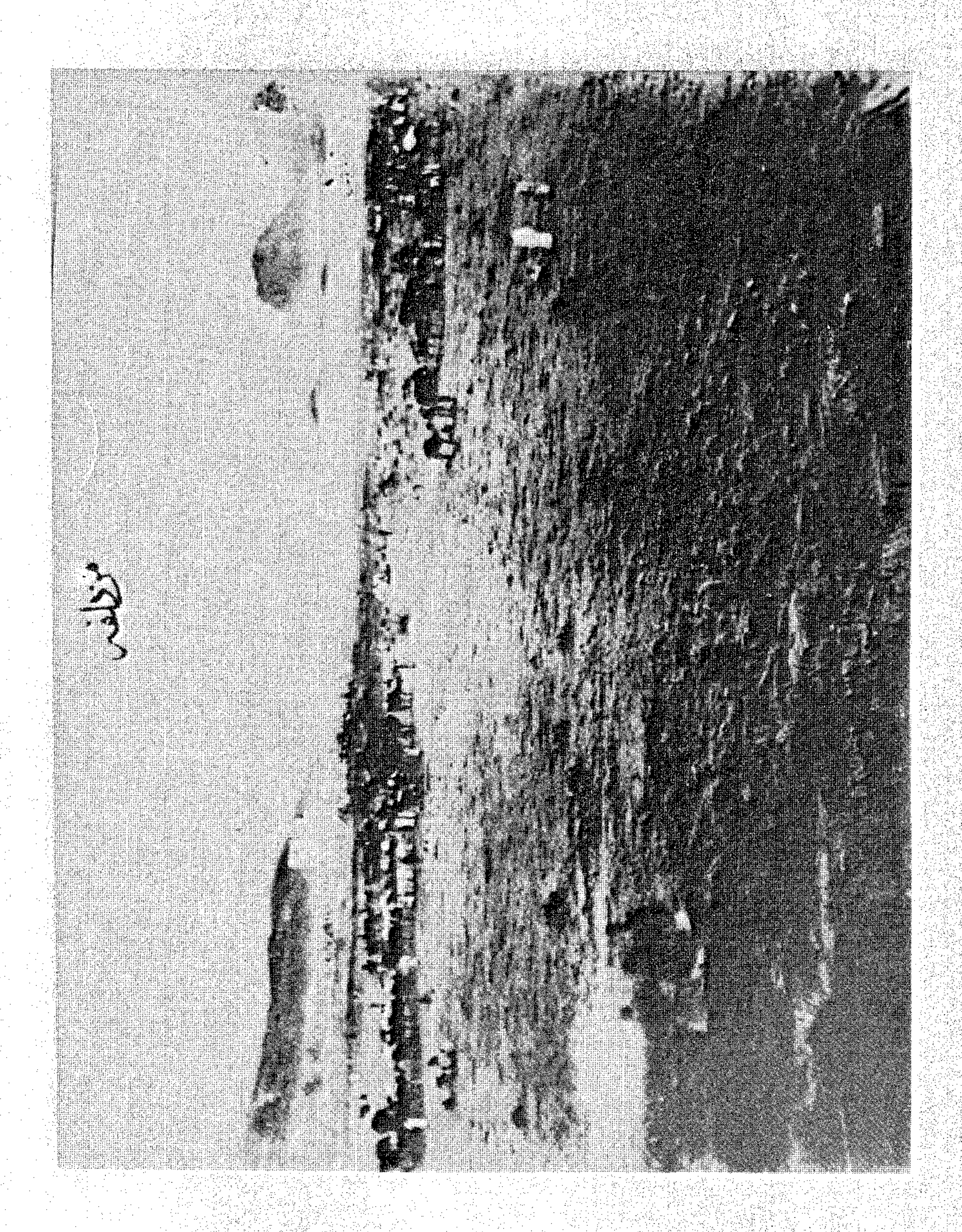
فاذا كملت شحنة القافلة نهضت الجمالة بجمالهم على طريقهم يقطرونها في بعضها قطارا أو قطارين بجوار بعضهما . وفي المقدمة يكون غالبا اكبر الركب وجاهة وعصبية . وجمال كل رجل تسير من خلفه مقطورة من جمله ،ومنهم من يرى متقدما على جمله حتي تكون ــ على الدوام ــ تحت نظره خوفا من عبث العابثين .

ومعلوم ان المطوفين بعد اتفاقهم مع الجمالة على نقل حجاجهم كانوا يسافرون غالبا في قافلتهم بحجة المحافظة عليهم (٣) وكذلك كانت الامارة تأخذ رهائن من أقرباء الجمالة بواسطة المخرج والمقوم وذلك عند سفر القوافل للمحافظة عليهم من تعديات الاعراب .(٤)

---

(١) البتنوني : الرحلة الحجازية ،ص ٢١٣ ومابعدها .
(٢) المصدر السابق ،ص ٢١٥ .
(٣) المصدر السابق .
(٤) انظر : محمد عمر رفيع : مكة في القرن الرابع عشر الهجرى ،ص ١٧٦ .





المتاعب والمشاكل التي كان يواجهها الحاج اثناء الطريق :

مشاكل الطريق ومتاعبه كثيرة جدا ،كانت تبدأ ببداية السفر من مكة او بدخول الحاج الي اراضي الحجاز حتي ينتهي من سفره،وكثير من الحجاج فقدوا حياتهم في هذه الرحلة المباركة الى بيت الله الحرام أو في رحلته الى زيارة مسجد الرسول صلي الله عليه وسلم . وهذه المتاعب والمشاكل منها ماكان يواجههم من قبل الجمالة انفسهم ،ومنها ما كان يواجههم من قبل الاعراب ،الذين كانوا يقطنون طوال الطريق ،غير المتاعب التي كانت تلقيها اليهم الظروف الطبيعية من حر وفقر في الماء .

وكان كثيرا ما يغرر الجمالة بضعافالحجاج فيأخذون الاجرة منهم ويخبرونهم بان الجمال خارج البلد،ويرجونهم في آخذها من هناك حتي يوفروا عليهم دفع القوشان .(١) فاذا خرج الحجاج المساكين من مكة لا يجدون الا جمالا ضعيفة ضيئلة ينالهم منها مشقات جسيمة،وكثيرا ما يتركونها ويسيرون علي اقدامهم جل مسافة الطريق أو كلها.(٢)

واحيانا يقطع الجمالة حزام الجمل فيقع راكبه ويتأخر عن القافلة حتي يصلح الحزام ،وربما انتهزوا فرصة الانفراد به وقتلوه ،أو سلبوه متاعهم ،وكثيرا ما يجهزون عليهم ويفرون بجمالهم الى حيث ارادوا ،وتارة اخرى يؤخرون الجملعن القافلة بحجة ان الرحل في حاجة الى اصلاح وما يريدون بذلك الا فرصة للفتك به.(٣)

---

(١) القوشان كلمة تركية معناها : المكس وهو عوائد تأخذها الحكومة على الجمال الخارجة من مكة او جدة او المدينة او ينبع وليست لها قيمة مخصوصة بل ترتفع وتنخفض على نسبة مطامع الكلمة هناك (انظر: البتنوني الرحلة الحجازية ،ص ٢١٤ ،ومحمد رفيع : مكة في القرن الرابع عشر الهجرى ،ص ١٧٨).

(٢) البتنوني ،الرحلة الحجازية ،ص ٢١٤.

(٣) المصدر السابق ،وابراهيم رفعت ،مرآة الحرمين ،٦٨/١.

والأدهي من ذلك ما يهدد القافلة من خطر هجوم بعض القبائل التي في طريقها عليها او على الأقل وقوفهم في وجهها ،فلا يدعونها تمر في أرضهم الا بعد ان يأخذوا منها ما يرضيهم باسم اجرة المرور.

التعديات علي الحجاج :

ان اختلال الأمن في الطريق بين جدة ومكة ،وبين مكة والمدينة وعدم الاستقرار فيها لم يكن مقصورا على الطرق وحدها بل ان مكة ايضا كان ينالها من ذلك الكثير في اغلب الاحيان بسبب ما يقع بين الشرفاء من تنافس علي الامارة ،والتقاتل عليها ،او بين امير من امراء قوافل الحج وبين امير مكة ،فيقع من أنصار الفئتين المتقاتلتين من النهب والسلب للاهلين والحجاج على السواء .

وقد سجل لنا ابراهيم رفعت (١)عدة من حوادث الاعتداءات التي وقعت على الحجاج ،منها ما وقع في ١٧ ذى القعدة سنة ١٣٢١هـ سطا فيها العربان علي قافلة كانت ببحرة بين مكة وجدة ،فقتلوا من رجالها ونسائها،وجرحوا الكثير وسلبوهم المتاع والنقود والحلي وكان فيها كثير من المصريين والسودانيين . وكتب ابراهيم رفعت الىالحكومة المصرية تقريرا بهذه الحادثة وبحوادث أخرى وقعت على الحجاج ثم ذيل التقرير بكشف معظم اسماء الذين قتلوا او جرحوا او نهبوا في حادثة ١٧ ذى القعدة سنة ١٣٢١هـ وذكر فيه موطن كل واحد من جهات مصر ،وما سلب منه ،وما خصه من الاعانات التي تبرع بها اصحاب البر والاحسان .(٢)

---

(١) ابراهيم رفعت ،مرآة الحرمين ٧٠/٢.
(٢) انظر المصدر السابق ٧٢/٢ ومابعدها.

وفي ٢٧ من ذى الحجة سنة ١٣٢١هـ وقعت حادثة اعتدى فيها بعض الأعراب علي الحجاج المصريين الذين أرادوا السفر الى المدينة المنورة قبل حضور المحمل المصرى ،وتجمعوا في المكان الذى كان يعسكر فيه المحمل المصري بعد أن سلموا أجرة الجمال للجمالة ثم اعتدى عليهم العربان بالقتل والسلب ولاذوا بالفرار .(١)

استمر الوضع علي هذه الحالة في الحجاز من قتل ونهب حتي اصبحت وتمت لواء الحكم السعودى وبهذا عم الامن والامان طرق الحج وسائر طرق المملكة دون عناء يذكر . ومن جراء هذا التغير تمرد بعض قبائل حرب فبعثت الحكومة عليهم شرذمة من الاخوان ضربت القبيلة ضربة لم تقم بعدها لسائر قبائل حرب قائمة ،حتي صار البدو على طريق المدينة يتهيبون القرب من معسكر قوافل الحجاج بعد ان كان الحجاج يهابونهم ،فاذا نزلت القافلة على منهل للاستراحة اثناء النهار واذا ما أراد أحدهم بيع بعض سلعة كالحطب والماء وما أشبه ذلك لا يجرؤ على القرب من منزل القافلة بل ينادى على سلعته من بعيد،واذا رغب أحد الحجاج في شراء شيء دعاه اليه دون التقرب من المنزل ،خشية أن يضيع على أحد الحجاج شيء من متاعه فيتهم به. لان الحكومة ضمنت لكل قبيلة حدودها فاذا فقد بعض الحجاج شيئا كلفت القبيلة باحضاره او ضمان ثمنه.(٢)

---

(١) ابراهيم رفعت ،مرآة الحرمين ،٧١/٢.
(٢) محمد عمر رفيع ،مكة في القرن الرابع عشر الهجرى ،ص ١٧٩.

وصف الطريق فيما بين مكة والمدينة :

تتجه قوافل الحجاج من مكة الى المدينة بعد صدور امر الشريف بسفر الحجاج منها ،ولا يكون صدور امر الشريف الا في الاسبوع التالي بعد نزولهم من عرفة .(١)

تسير القوافل في واحد من اربع طرق الى المدينة المنورة على حسب تبعية المقوم والجمالة وهذه الطرق هي : الطريق السلطاني والطريق الفرعي والطريق الغاير،والطريق الشرقي ،ويذكر البتنوني (٢): ان الطريق السلطاني هو أحسنها سيرا واكثرها ماء فاذا قامت القافلة منه خرجت من باب العمرة وسارت الى الشمال الغربي ،وتمر على المحطات الآتية :

وادى فاطمة : وبه ثلاثون عينا جارية شديدة العذوبة يأتي ماؤها من السيول التي تنزل من جبال الطائف والتي تتميز بمزارع كثيرة وهناك مساكن للاعراب ،ويسكن فيه عرب الاشراف من ذوى حسين وذوى غالب ويسكن في المنطقة التي بينه وبين مكة الى بحرة بنو لحيان.(٣)

عسفان : من وادى فاطمة الى عسفان اثنتا عشرة ساعة و٤٥ دقيقة وبها بئر عسفان ،وهناك ثلاث آبار أخرى عذبة الماء وتنسب احداها الى عثمان بن عفان رضي الله عنه ،وتسكن بها قبائل بشر وحمران.(٤)

---

(١) البتنوني ، الرحلة الحجازية ،ص ٢٠٦.

(٢) المصدر السابق ،ص ٢٠٩ ومابعدها.

(٣) ابراهيم رفعت ،مرآة الحرمين ،٣٧١/١ ، ١٩٩/٢ ،والبتنوني ، الرحلة الحجازية ص ٢٠٩.

(٤) ابن بطوطة ، الرحلة ١٤٨/١ ،ومابعدها؛وابن جبير ،ص ١٦٢،وابراهيم رفعت ، مرآة الحرمين ٢٠٠/٢؛والبتنوني ، الرحلة الحجازية ،ص ٢٠٩،وانظر أيضا البلادى ،معجم معالم الحجاز ١٣٩/٦ - ١٤١.

خليص : من عسفان الى خليص سبع ساعات وبها بئر التفلة وماؤها غزير، ويسكنها قبائل زبيد،ويقرب منها واحة بها مياه جارية ،وفيها بساتين ونخيل .(١)

القضيمة : من خليص الى القضيمة تسع ساعات ،وهي قرية على البحر مساكنها أكواخ صغيرة ،وماؤها من الحفر التي يخزنون فيها ماء الأمطار وأهلها من زبيد ،ويشتغلون في الغالب بصيد البحر ،وبها سوق وبئر(٢) ومنها يتجه الطريق الى الشمال .

رابغ : وهي قرية على البحر الأحمر تبعد عنه مسيرة ساعة ،وهي مجتمع طرق ثلاثة :الجنوبي منها يتفرع الى فرعين : أحدهما الى مكة ، والآخر الى جدة ،والشرقي الشمالي يتفرع الى فرعين : يسمى أحدهما بالطريق الفرعي ،والثاني بطريق الغابر وكلاهما يتجهان الى المدينة ،
والشمالي يسمى الطريق السلطاني ويتفرع عند مستورة الى فرعين: الشرقي منهما يسمى بالطريق السلطاني " ملف " والشمالي يسمى بالطريق السلطاني فقط وكلاهما يتجهان الى المدينة ،
ومن الفرع الشمالي طريق الى ينبع ،وبها ١١٦ منزلا و٥ مساجد و١٠ حوانيت ،و١٠ صهاريج ،وسوق ،وقلعة ولها سور وسبعة أبواب ، وأما أهلها فهم من زبيد يتعيشون على صيد الأصداف وغيرها .(٣)

---

(١) المصادر السابقة ،وأنظر أيضا البلادى ،١٤٩/٣ - ١٥٢.
(٢) ابراهيم رفعت ،مرآة الحرمين ٢٠٢/٢؛ البتنوني ، الرحلة الحجازية ،ص ٢٠٩.
(٣) ابراهيم رفعت ،مرآة الحرمين،٢٠٢/٢؛ البتوني ، الرحلة الحجازية ،ص ٢٠٩.

مستـــــورة : من رابغ الي مستورة عشر ساعات ،وبها علي اليسار اكواخ وبئر، وهناك بئر آخرى في الجهة الشرقية الى مسيرة نصف ساعة ،وتوجد بها حفائر كثيرة.(١)

وقال البتنوني (٢): ومنها طريق الى بدر ،الى الصفراء يسمونه الملف ،ويسكن هذا الطريق قبائل صبح في بدر،والأحامدة فــي الصفراء .

بئر الشيخ : من مستورة الى بئر الشيخ ثلاث عشرة ساعة ،قال ابراهيم رفعت(٣) وبمحطة بئر الشيخ سوق .

وقال البتوني (٤): وتسكنها قبائل صبح.

ديار بني حصاني :

وسماها ابراهيم رفعت (٥): بـ " بئر ابن حصاني" من بئـــــر الشيخ اليها ست ساعات ،وقال : وهناك سوق عظيم ،وبيوت وآبـار ويسكنها صبح والحوازم .(٦)

الحمـــــراء:وهي قرية بها عين عذب وفيها بساتين ونخيل ويسكنها الحـوازم ، ومنها ينثني الطريق الى الشمال الشرقي .(٧)

الجديـــدة : وهي قرية ،ماؤها عذب ويسكنها قبائل الحوازم ،والأحامدة ومنها يميل الطريق قليلا نحو الشرق .(٨)

---

(١) ابراهيم رفعت ،مرآة الحرمين ،٢٠٣/٢.
(٢) البتنوني ،الرحلة الحجازية ،ص ٢١٠.
(٣) ابراهيم رفعت ،مرآة الحرمين ،٢٠٣/٢.
(٤) البتنوني الرحلة الحجازية ،ص ٢١٠.
(٥) ابراهيم رفعت ،مرآة الحرمين ،٢٠٤/٢.
(٦) البتنوني ،الرحلة الحجازية ،ص ٢١٠.
(٧) المصدر السابق .
(٨) المصدر السابق .

بئر عبــــاس : ويسكنها جانب من الحوازم وصبح والأحامدة ،وماؤها قليل ،ومنها يميل الطريق الى الشرق قليلا .

ثم بعد ذلك ذكر البتنوني محطة (بئر درويش) مع ان ابراهيم رفعت[1] ذكر فيما بين محطة (بئر ابن حصاني) وبين (بئر درويش) محطة واحدة وهي :

خلــــــص : وقال : من بئر ابن حصاني الى خلص احدى عشرة ساعة وبخلـــــص بئر ،وسوق وكثير من اللصوص .

بئر درويــش : من خلص الى بئر درويش اربع عشرة ساعة يسكن في هذه الجهـــــة قبائل الأحامدة والرحلة[2].

آبار علـــــي: ويسكنها قبائل عوف وعمرو وماؤها عذب وهي على مسافة نحو خمسة كيلومترات من المدينة المنورة ويترك فيها القوافل شقادفهـــم وسحاليهم.[3]

---

(١) ابراهيم رفعت ،مرآة الحرمين ٢٠٤/٢.
(٢) ابراهيم رفعت ،مرآة الحرمين ٢٠٥/٢ ،والبتنوني، الرحلة الحجازية ،ص ٢١٠.
(٣) المصدران السابقان.

الطريـــق الفرعـــــي :

والطريق الفرعي يبتدىء من رابغ متجها الي الشمال الشرقي ويمر علـــي المحطات الآتية : [(١)]

* وادى حرشان .
* نقر الفار : وهو محجر ضيق منحدر تمر منه الجمال جملا جملا ويسكنـــــه بنو سالم .
* بئر رضوان : وماؤها عذب .
* ابو ضباع او ام ضباع : وماؤها عذب ....ويسكنها بنو عوف .
* الرياض او وادى الريان : وماؤها عذب وشجرها كثير ويسكنها بنو عمرو.
* الغديـر: وفيه مجرى ماء .
* وادى المعظم : ماؤه عذب .
* بئر الماشي : ماؤها حلو ويسكنها عوف .
* آبار علي .
* المدينـــة.

---

(١) البتنوني ، الرحلة الحجازية ،ص ٢١٠ ، ٢١١ .

طريــق الغايـــــر:

وطريق الغاير يبتدىء من رابغ او من مستورة ويقطعجبل الغاير الـــي الشمال وهو أقل هذه الطرق مسافة ،فاذا وصل المسافر الي الغاير صعد مـــن عقبة عالية تشرف على هاوية عميقة طريقها ضيق جدا بحيث لا يسع الا دابة دابة، وهذا الطريق خطر في صعوده وهبوطه وخصوصا على الركاب ،ومع ذلك تسير فيــه الدواب بسهولة لانها متعودة عليه ،ومسافة الصعود الى ظهر هذه العقبة لا تقل عن ست ساعات ،ويسكن الغاير ومنحدراته قبائل اللهبة ومسروح ،وهذا الطريــق يمسونه الطريق المدني لأن أهل المدينة يستسهلونه في حجة لقربه؛ فيركبــون هجنهم او حميرهم أو خيلهم ويسيرون فيه قوافل ،ولهم منازل ينزلون فيها حيث يكون الماء ويقيمون بها ريثما يأكلون ويعلون ثم يستأنفون السير الي مكــه. وكثير من الحجاج الأقوياء الخفاف الأثقال وخصوصا من المصريين كانوا يصحبونهم من المدينة الى مكة ،او من مكة الى المدينة عقب أيام التشريق مباشـــرة وينتظرون بالمدينة حتي اذا جاءت القوافل اليها انصرفوا معها الي ينبع .(١)

---

(١) البتنوني ،الرحلة الحجازية ،ص ٢١١ ،٢١٢.

الطريـــق الشرقـــي :

والطريق الشرقي يخرج من مكة من باب المعلي ويتجه الى البياضية ثم يسير في طريق شمال طريق مني ويتجه الى الشرق ويمر على المحطات الآتية :

بئر البـــارد : وهي بئر عظيمة مطوية بالحجارة المنحوتة ،وبجوارها بئر آخرى مردومة (١)

وادى الليمـون : ويكثر فيه شجر الليمون والنارنج وفيه ماء جار ينزل اليه من جبال الهدى ،وبها سوق باعته من مكة ،ومنازل بنيت في أحضان الجبال ،ومنها يتجه الطريق نحو الشمال .(٢)

الحفايـــــر : مياهها عذبة وقريبة من سطح الأرض .(٣)

بركة سعـــرة : لا ماء فيها مدة الصيف .

بركة المِسْلَـح : (حارة) ماؤها غزير وعذب وبساتينها كثيرة .

الحبيــــط : او (الضيعة).

وذكر ابراهيم رفعت (٤)بعد محطة (الحفاير) المحطات التالية :

محطة البركة :

تقع في المحطة بركة تسمي ببركة زبيدة عملت لها القنـاوات المائية لاستقبال مياه الأمطار ،يسكن في هذه المنطقة قبائل عتيبة أما المسافة فتقدر باحدى عشر ساعة وربع من الحفائر.

---

(١) ابراهيم رفعت ،مرآة الحرمين ،١/٣٧٠.
(٢) المصدر السابق .
(٣) ابراهيم رفعت ،مرآة الحرمين ،١/٣٧٣،والبتنوني ،الرحلة الحجازية ،ص ٢١٢.
(٤) ابراهيم رفعت ،مرآة الحرمين ،١/٣٧٤.

محطة الغدير أو المكر والمكير:

وبهذه المحطة مياه كثيرة والمسافة بينها وبين "حاذا" ساعة ونصف .

محطة الهضاب :

لا ماء بها ،والحطب قليل ،وبها سوق تباع فيها جمال .

سفينة : أو (صفينة):

وبها نخل وآبار عذبة وهي قرية صغيرة أبنيتها بالطين المكدس بعضة فوق بعض يسكنها نحو ٤٠٠ نسمة وبها حوالي ١٠٠ نخلة صغيرة وكبيرة ،وقليل من شجر الليمون وشجر الطرفاء وفيها ٣٦ بئرا.(١)

السويرجية : (السويرقية):

قرية يسكنها سادات من بني حسين وبها آبار ومزارع كثيرة.

والطريق من صفينة الى قبالة السويرجية سهل رملي الا بعض بقاع فيه ، وبه مجموعة من البرك تجمع فيها ماء المطر .(٢)

الحجرية :

ويبعد عنها الماء بنحو ربع ساعة،وبها ست آبار عذبة المياه.(٣)

غرابة:

أو غراب ،فيها مياه كثيرة علي عمق ذراع او ذراعين من سطح الأرض .

---

(١) ابراهيم رفعت ،مرآة الحرمين ،٣٧٤/١.
(٢) المصدر السابق .
(٣) المصدر السابق ٣٧٨/١.

والطريق سهل واسع جباله متنائية وأرضه مستوية تصلح للزراعة.[١]

الغديـــر:

او الحنك ،وبعضهم يكتبها الحنق ، وفيها بركة كبيرة تملأ مـــن مياه الأمطار ،والطريق أكثره سهل عظيم الاتساع مستو صالح للزراعة ،وفـــي منتهاه عقبة ذات صعود وهبوط وتعاريج كثيرة تدانت فيها الجبال ومحطـــة الغدير فيها بركة مبنية طولها ١٠٠ متر في عرض ١٠ أمتار وعمق متريـــــن أو يزيد وهي في حجر الجبل وبجوارها مياه أخرى .[٢]

سيدنا حمـزة:

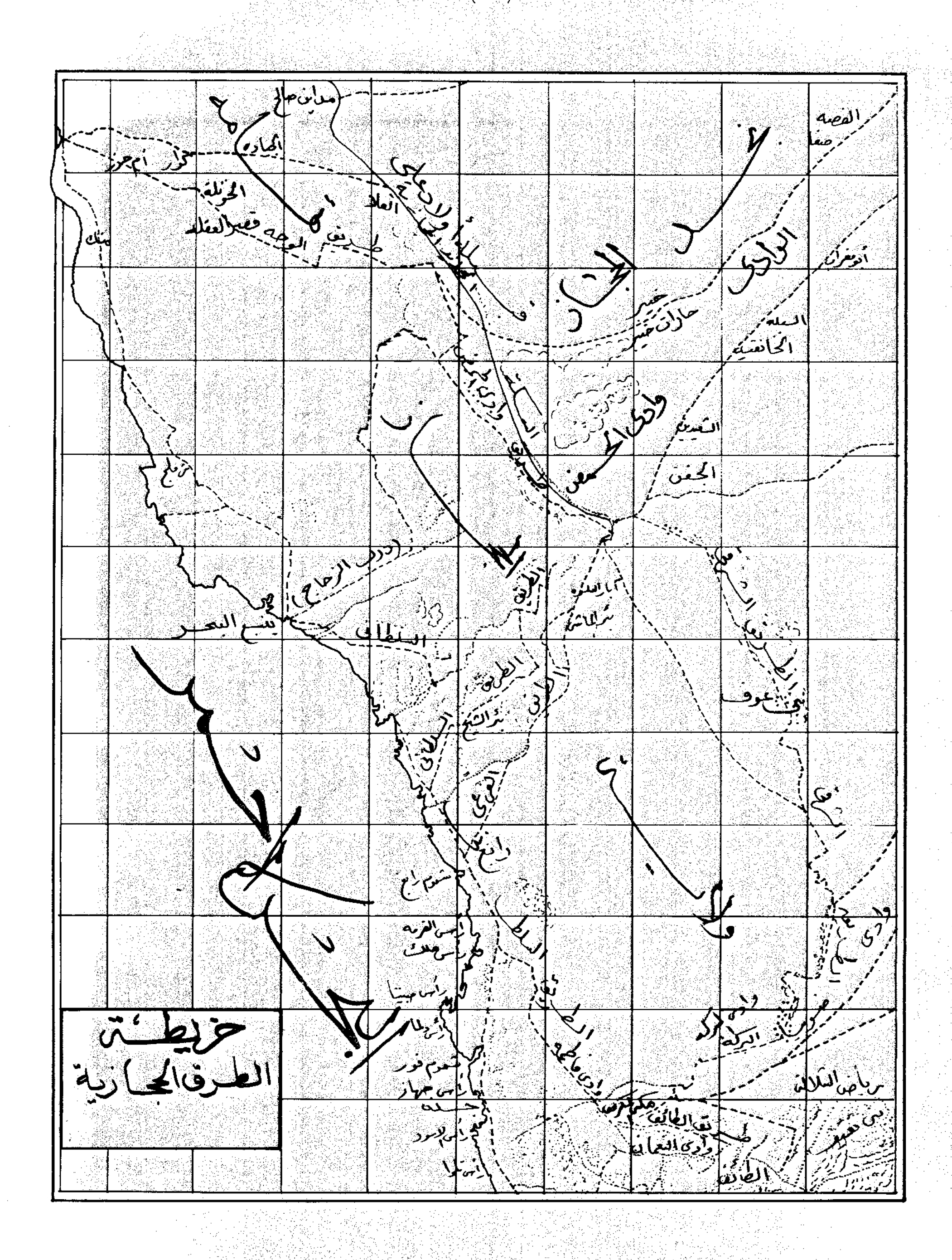
المدينة المنورة ،والطريق من الغدير حجرى صعب المسلك وكـــــان يعلو تارة وينحدر تارة أخرى .[٣]

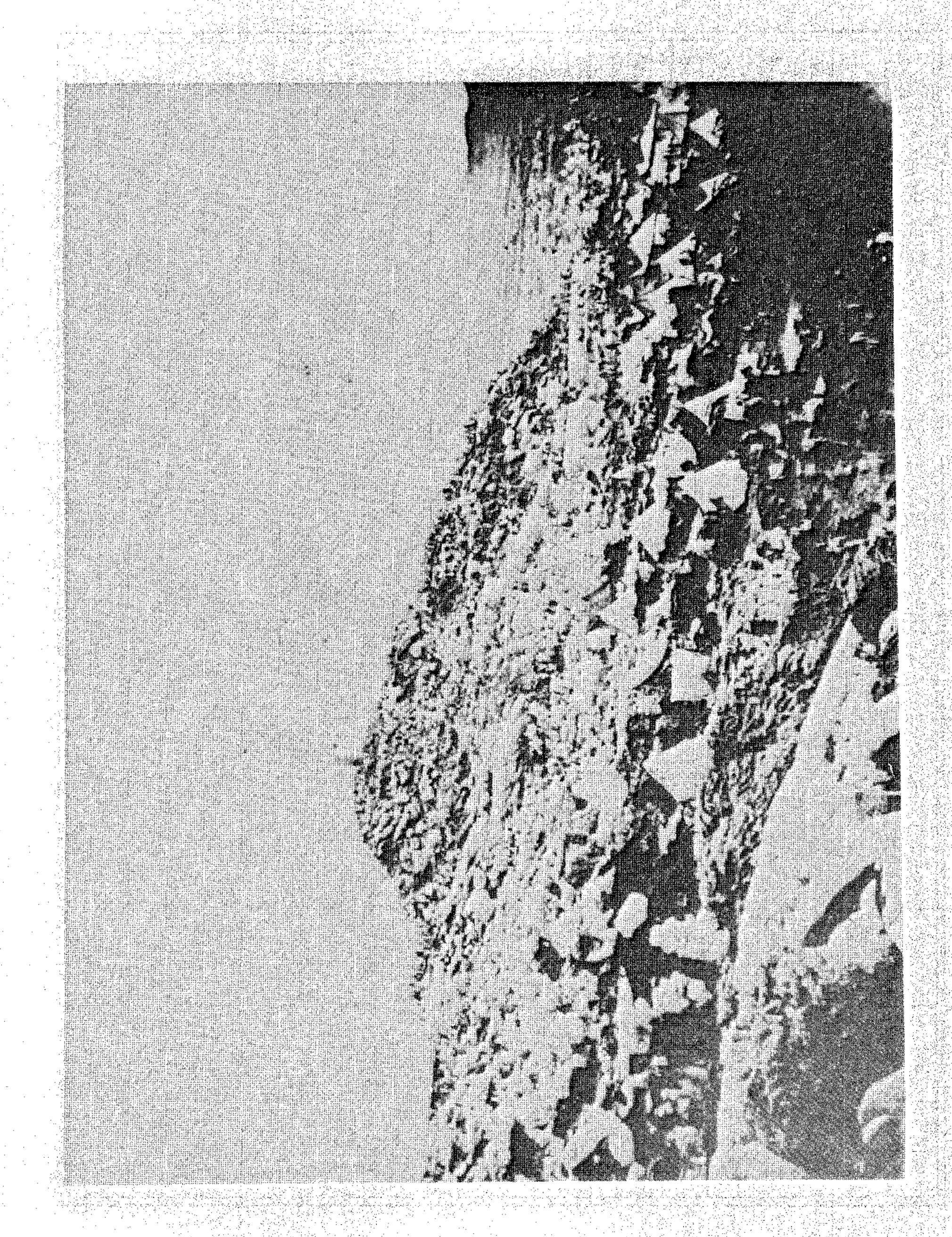
وعربان هذا الطريق من الزيود[٤] واللهبة[٥]وعتيبة[٦]ومطـــير[٧] والرحلـة.[٨]

وهم أبعد الاعراب عن الحضارة.

---

(١) ابراهيم رفعت ،مرآة الحرمين ٣٧٩/١ ،والبتنوني ،الرحلة الحجازية ،ص ٢١٢.
(٢) المصدران السابقان .
(٣) ابراهيم رفعت ،مرآة الحرمين ،٣٧٩/١.
(٤) الزيود : شيعة ينسبون الى سيدنا زيد بن علي زين العابدين ومن عوائدهم انهم لا يختتنون بل يسلخون جلد عانتهم وقضيبهم ويموت من جراء ذلك منهم خلق كثير ،واطفال مكة يعيرونهم بذلك .
(٥) اللهبة مشهورون بالغدر والخيانة.
(٦)،(٧) هما من اكبر قبائل بلاد العرب قوة ومنعة واكثرها عددا وامتنهـــا شجاعة ،وغلبهم لا يلبسون الا المئزر ،ونساؤهم على جانب عظيم من الشجاعة وقد بلغ من المرأة العتيبية او المطرية انها تسمك بذيل الفرس وهو يعـــدو وتجرى معه ثم تضغط على ذيله بيدها وتقذف بنفها فوق ظهره ،وهي كذلـــك تركب الجمل في عدوه.
(٧)،(٨) عرب الرحلة لا يقيمون في محل واحد بل تراهم كما يشير اليه اسمهـــم متنقلين وراء الكلاء من مكان الى آخر.


خريطة
الطرق الحجازية
مدائن صالح
العلا
خيبر
الجفن
ينبع البحر
الطائف



شكاوى الحجاج عن المشاكل التي عانوا منها أثناء رحلتهم الي بيت الله الحرام:

بعد البحث في المراجع التاريخية عن شكاوى الحجاج وجدنا أنها تنحصر علي الرسوم التي كانت تؤخذ منهم عند وصولهم الى الأقطار الحجازية، وعلى أجور الجمال التي كانت ترتفع أحيانا وتنخفض أحيانا على حسب مطامع الأمراء والولاة، وعلى تعديات الأعراب أثناء سفرهم الى المدينة المنورة والعودة منها، وعلى سوء معاملة المطوفين للحجاج .

وقد كتب بعض هؤلاء الحجاج مقالات عديدة في بعض الصحف الصادرة في العالم الاسلامي .

وقد نقل ابراهيم رفعت [1] بعض هذه المقالات مع تصرفه في عباراتها ، واليك ما نقله منها:

" جاء في العدد ٤٢٣٠ من جريدة المؤيد الصادرة في ٢٣ محرم سنة ١٣٢٢ هـ (٩ ابريل سنة ١٩٠٤م) مايلي :

(عريضة مفتوحة لجلالة سيدنا ومولانا الخليفة لسعادة صاحب الامضاء).

علا الضجيج يا أمير المؤمنين وخليفة رسول رب العالمين فملأ الآفاق من حجاج بيت الله الحرام ومن الذين يتألمون لهم من المسلمين وغير المسلمين من أهل الشفقة والمرحمة يا امام الهدى وظهير الحق، إن الأيدى الطاهرة التي بسطها الحجاج الى السماء في بيت الله حول الكعبة للدعاء بنصرك قد قطعها الأعراب ورموا بها على الأرض تقطر دما يقرأ منه الغادى والرائح حروف (واخليفتاه) بل قطعها يا أمير المؤمنين عون الرفيق وأنصاره ممن في دار الخلافة طمعا في

---

(١) ابراهيم رفعت ، مرآة الحرمين ٧٥/٢ ومابعده .

دار الخلافة طمعا في المال من أجرة الجمال .

يا أمير المؤمنين قد حار الناس وجدير بهم ان يحاروا لأنهم يعدون أمير المؤمنين خامس الخلفاء الراشدين تقي وايمانا ويعتقدون أنه خبير بما في الشرق والغرب ويعلمون أن كلمة ينطق بها جلالته تجعل الحجاج يسرون ليلا آمنين بين تلك النجاد والوهاد أفرادا وأزواجا ولهذا قد زاغ بعض الجهال فقالوا:أن هذا مقصود ليشتهر بين الناس من المنتسبين الى بيت الرسالة ماتراه ونسمعه من هذه المخزيات فتشمئز منهم النفوس وتعتقد أنهم لا يصلحون لشيء فيستريح خاطر جلالة سيدنا ومولانا من تلك الكلمة التي يكررونها آنا فآنا وهي (الائمة من قريش) ولكن الحقيقة الخالصة هي أن عون الرفيق وصاحبه وجدا من تشبث الحكومة المصرية في التشديد على الحجاج في السفر الي الحجاز ينبوعا لا ينضب في تكذيب ما يرد على العتبة العليا من صادق الأخبار في أحوال الحجاج السيئة باستكتابهم أشياعهم ما أرادوا من الأراجيف .

يعود يا أمير المؤمنين حجاج البيت الى بلادهم وقد فقدت الأم ولدها والزوج زوجها والولد أمه والزوج زوجه والغني ماله والفقير شبابه ويزيد على ذلك كله خجلهم من الذين كانوا يحذرونهم سوء هذا المنقلب .

يا أمير المؤمنين ان الناس يقولون ان أعظم ألقاب الشرف والفخر لجلالتكم ولآبائكم خلفاء الاسلام وسلاطين العالم انكم خدام الحرمين الشريفين فكيف تسفك دماء من قصدهما لاكمال قواعد دينه وهما من الله في عهدة جلالتكم.

قد أعيتني يا أمير المؤمنين الحيلة في هذه الحادثة وأعيت غيرى من عبيدكم المخلصين لوجود هذه الأسوار الصينية حول القصر المعمور التي بناها عون الرفيق وأشياعه فبعثت بهذه العريضة مفتوحة وهو ذنب عظيم ولكن السكوت

على هذا الأمر الفظيع أعظم فاخترت أخف الذنبين وأنا واقف موقف الخضوع ألتمس العفو والمغفرة.

عبـد مملوكلـرى

ابراهيم المويلحـي

وجاء في العدد ٤٢٣٤ الصادر في ٢٨ محرم سنة ١٣٢٢هـ من الجريدة نفسها تحت عنوان " الخطر على الاسلام " مايأتي بعد الديباجة: (١)

" خير ما يهدى المسلم لأخيه الدعاء وقد فعلت وأرجو من الله سبحانه وأن يعينكم ومن نحا نحوكم من الصحافيين وأرباب الأقلام على القيام بالواجب تلقاء ما ألم بحجاج بيت الله في هذا العام من خطر وأصابهم من ضيم وضرر وأني وغيرى من المسلمين لنألم أشد الألم لما أصاب اخواننا الحجاج وكيف لا نألم والدماء تسفك وأموال تسلب ومعونات تهتك فتنبذ بالعراء وكل ذلك كان أمانة في حمي بيت الله الحرام فخاب الأمل في الأمانة ووقعت الخيانة من المؤمنين عليها وكانت الشكوى من شريف مكة مثل الشكوى من أعراب أجلاف غلاظ الأكباد قساة القلوب يزعمون أنهم مسلمون والاسلام من أعمالهم براء.

السيد الشريف هو الذى يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر ويؤدى علي رغبة منه واختيار ما وجب عليه لدينه وسلطانه وقومه وليس هو ذلك الآمر بالفساد وقطع الطريق الدافع المسلمين عن زيارة بيت ربهم أملا في نيل ذهب ذاهب وفضة منفضة ومتاع غرور ولا يدرى أنه بما امر يجني على نفسه وعلى ذريته بل وعلي أهل دينه وأنه بمايسلب وينهب وأشياعه وأعوانه كأنما ينادى بتشهير سلطانه ويعلن عجز دولته عن تأديب أعرابه وحراسة الأمن في جزيرة العرب وكأنه يدعو بذلك دول اوروبا التي لها رعايا مسلمون ان تحتج للتدخل في شؤون الجزيرة بحماية رعاياها الحجاج فترسل كل عام جيوشا تنزل الجزيرة تخبر أحوالها وتعمل

(١) ابراهيم رفعت ،مرآة الحرمين ٢/٧٦ ومابعدها.

على اختلاق الاسباب لاحتلالها وهناك البلاء الطام والداهية المدلهمة للاسلام وأهله .

فلماذا يصبر المسلمون على الأذى ويرضون بوجود طاغية في ظل الكعبة يظلم الناس باسم خدمتها وينهب أموالهم ويسفك دماءهم يزعم أنه ابنها الواجب احترامه .

لماذا يرضى المسلمون أن يكون القائم على حراسة الكعبة وحجاجها رئيس طغام طغاة فهلا اتفقت كلمتهم واكتتبوا بالمال واتخذوا لهم جندا يستنزل هذا الظالم العاتي من سماء جبروته او على الأقل يهيئون جيشا يخرج مع الحج في كل عام الى تلك المفاوز فيبدل خوفها أمنا ويضرب على أيدى العتاة الظالمين .

وقد يكون هذا متعسر الحصول او متعذره ولكن يسهل على الخليفة الأعظم وهو خادم الحرمين الشريفين وصاحب الجيوش الكثيرة أن يرسل الى أرض الحجاز كل سنة من جنوده ما يحفظ الحج والحجاج ويجعلهم في مأمن على أنفسهم وأموالهم وأعراضهم ،ألم يكن بلد الله الذى يقصده من مسلمي الأرض طرآ مثل مقدونيا التي عبثت بها مئات الألوف لتخفر الأمن تحت المقيع وفوق جليد الثلج؟ اذا ضاعت مقدونيا او استقلت او خسفت أرضها بمن فيها أتضر بالدولة كما يضرها تخريب الحرمين ؟ وهل سلطة الخلافة المقدسة تغار على صعاليك الأورام أو البلغاريين القاطنين بمونستير أو سلانيك ولا تغار على سراة المسلمين وعظمائهم الذين يقصدون بيت الله ليؤدوا أقدس الفرائض الدينية ؟ ولا يخفي علي الصحافيين أن الجرائد ملاذ الناس في أمثال هذه الحوادث المدلهمة وهم أعلم الناس بما ينجم عن الفوضي في أرض الحجاز من المضار الجسيمة فاستصرخوا أقلامكم في وجه ذلك الطاغية المقيم في مكة اطلبوا من أمير المؤمنين مولانا السلطان توجيه عنايته لبلاد العرب التي بمنزلة الشريان في جسم الدولة والقلب

من جسد الامة الاسلامية ولا أمان لهما من الاصابة فيه الا بتجهيز جيش يمتد على طريق الحج في كل عام ليحفظه ويحفظ السكان من عبث العابثين وظلم الظالمين .

محمود أنيس

وجاء في جريدة المؤيد أيضا في العدد ٤٢٤٥ الصادر في ١١صفر سنة ١٣٢٢هـ ما يأتي تحت عنوان : (الحجاج الهنود) :[١]

نعرب هنا بعض ما نشر في الجرائد الهندية الاسلامية التي تصدر باللغة الاوردية عما أصاب حجاج بيت الله الحرام هذا العام .

جاء في جريدة (وكيل) التي تنشر في بلدة (امرتيسار) من أعمال الهند ما يأتي في رسالة بعث بها أحد الحجاج الهنود من مكة بتاريخه فبراير سنة١٩٠٤م

" قد توجد في الجهات البربرية التي لا يزال أهلها في طور الهمجية بلاد يظلم فيها الناس ويسامون الخسف ولكنا لوفتشنا في كل بقاع المعمورة علي بقعة يصاب فيها عباد الله بكل أنواع المظالم والعنف والاستبداد وسوء المعاملة بمثل ما يصابون به في مكة المكرمة حيث بيت الله الحرام ما وجدنا لها نظيرا (واحسرتاه) يهجر الحجاج بلادهم ويفارقون بيوتهم وأولادهم ونساءهم وأموالهم ويكابدون ما يكابدون من وعثاء السفر ومتاعب المحتجرات الصحية عن طيب نفس ورضا خاطر حبا في الثواب وطلبا للأجر من الله مؤملين أنهم متي وصلوا الي مكة فقد آن لهم أن يستريحوا وتطمئن نفوسهم ولكنهم لا يطؤون أرض الحرمين حتي ينقض عليهم الأعراب سلبا ونهبا وقتلا ويسومونهم سوء العذاب،اللهم انا نعرف أن التصريح لكل هذا مضر بنا مضيع لعزتنا ملوث لشرف آبائنا لأنه يري العالم الأجنبي كيف أصبحت البلاد الاسلامية المقدسة ولكن ما الحيلة وقد ادلهم الخطب وبلغ السيل الزبي وطفح الكيل وقد توجد أمور لا يصح اظهارها ولكن لا يمكن اخفاؤها بحال من الأحوال .

---

(١) ابراهيم رفعت ،مرآة الحرمين ٧٨/٢ ومابعدها.

وكنا نظن ونسمع في الهند ان الأعراب هم أصل البلاء وسبب المظالم في بلاد الحجاز فما راعنا الا ما علمناه وعرفناه من أن كبار رؤساء المسلمين الذين بيدهم الحل والعقد يساعدون بل يحثون علي تلك المظالم وما أدراك بهذا الفرعون (هكذا لقب الهنود شريف مكة عون الرفيق) الذى جعل في مكة شركة تجارية مشتركة أقام نفسه رئيسا لها واتخذ أعضاءها من عماله ومن المطوفين ووكلائهم في جدة وغيرها وغرضهم سلب الحجاج أموالهم بكل وسيلة من الوسائل . كان للانجليز قنصل في جدة يهتم براحة الهنود ويمنع وقوع الأذى عنهم والآن يظهر أن القنصل الجديد الذى دعاه الشريف الى مكة وزوده بالهدايا وملأ فاه بالنعم يتغاضى عن رعايا دولة بريطانيا حتي سلبت أموال الهنود وقطعت أيديهم وتركوا للجوع والعرى والموت الزؤام ، اللهم رحماك .

وكتبت جريدة (وطن) الغراء التي يصدرها محمد ان شاء الله في لاهور مقالات متعددة وحملت علي قنصل الانكليز المذكور انفا حملات شديدة ومما جاء في تلك الجريدة : ان عمال الشريف في جدة يأخذون الأموال جبرا وظلما من الهنود بحيث لا يسمح لأحد منهم بمبارحة ذلك الثغر حتي يدفع للمطوفين مالا كثيرا وبلغت أجرة الجمل في جدة الى مكة ٣٣ روبية (الروبية ستة قروش ونصف صحيحة) مع أنه لا يعطي لصاحب الجمل أكثر من ٥ أو ٦ روبيات وأشار السيد محمد مسعود الحق أحد أعيان الهنود بجمع نقود من الهنود المسلمين لارسال وفد يحمل عرائض الشكوى الى جلالة السلطان ونشر رأيه هذا في جريدة وطن ليرى رأى اخوانه المسلمين وكتب في جريدة (بيسة أخبار) كلام طويل بهذه النغمة وعلى تلك اللهجة .

وكتبت جريدة المؤيد في العدد ٤٢٥١ الصادر في ٢٩ صفر سنة ١٣٢٢هـ ما يأتي تحت عنوان :(الحج هذا العام).(١)

عاد ركب المحمل المصرى الشريف بسلام وعاد معه كثيرون من فضلاء المصريين الذين رافقوه ذهابا وايابا وقد شرح لنا بعضهم النصب الذى قاسوه في سفرهم والتلاعب الذى قام به الوالي والشريف ،وقد قال لنا أحدهم ان الشريف ليس ملوما لأنه بدوي لا يفهم معني المسؤولية وواجب النظام كما يفهمها رجل تركي عالي المقام مثل دولة راتب باشا والي الحجاز وربما كان الشريف لا يفهم الا أنه من آل البيت وان كل ما للبيت فهو له لأنه سيد الجميع فما على الذين يحجون البيت الا أن يخضعوا لأوامره ومشيئته كيفما كان الحال ،وعلمنا من أن طريق الطريف معبة وعرة كثيرة الغابات الملتفة والصوان المحدد قليلة المياه شاسعة المراحل حتي أنهم كانوا يقطعون بعض المراحل في ٢٢ ساعة ثم يجدون الماء قليلا والمرحلة التالية قريبة من الأولي في المسافة وكان سعادة أمير الحج وحضرة رئيس حرسه وبقية ضباط الحرس لا ينامون في الأكثر الا على ظهور خيولهم وقد لبثوا مرة نحو ٥٠ ساعة لم تذق أجفانهم فيها طعم الكرى .

والخلاصة أن طريق الطريف أصعب الطرق الى المدينة وأكثرها أمنا لأنه لا يوجد من يسلكها من الأعراب ومنذ ٣٠ سنة مر منها المحمل المصرى لأسباب قضت بذلك ثم عدل عنها بتاتا ولم يكن سفر المحمل من هذه الطريق الا غشا من حكومة الحجاز لأن الارادة الشاهانية كانت صدرت لوالي الحجاز بأن المحمل المصرى يجب أن يسافر الى المدينة من اي طريق شاء. فبلغ الوالي بواسطة نائبه في جدة أمير الحج هذه الارادة يقتضي سفر المحمل

(١) ابراهيم رفعت ،مرآة الحرمين ٧٩/٢ ومابعدها.

من طريق الطريف فلما وصل المحمل الى المدينة بعد قطعه هذه الطريق في تسعة أيام علي الحال الآنف ذكرها اطلع سعادة أمير الحج على صورة الارادة الشاهانية عند محافظ المدينة فاذا بها لا تعين طريق الطريف ولكن مع ذلك اضطر الـــــي الرجوع من طريق الطريف لأن الجمال مستأجرة لها ولا يسمح لها أعراب الطريـق الأخرى بالمرور فيها وقاس ركب المحمل في الأياب مثل ما قاس في الذهاب مـــن المتاعب وسيأتي على تفصيلات أعم في موضوع الحج نلفت بها نظر حكومتنـــــا المصرية ولدولتنا العليا لما يحصل في أرض الحجاز خصوصا بعد ما ثبـــــت أن حكومة الحجاز تحرف الارادات السلطانية وتقلبها قلبا، وثبت أيضا أنهـــا تبلغ الصدارة العظمي أشياء لا حقيقة لها.

شكـــــوى حجـــاج جـــاوه :

وجاء في جريدة اللواء الصادرة في ١٨ شعبان سنة ١٣٢٣هـ (١٧ اكتوبر سنة ١٩٠٥م) تحت عنوان :

" شكوى حجاج جاوه من المطوفين بالحجاز " مايأتي :[1]

بعث الينا أحد الفضلاء في جاوه المقالة الآتية قال : اننا معشر الجاويين قد تراكمت علينا المصائب حتى كادت قلوبنا تنفطر لما نكابده من المظالم الفادحة والغرامات الباهظة عند حجنا الى بيت الله الحرام وزيارة قبر نبينا عليه أفضل الصلاة والسلام ،فنرفع شكوانا الى عالم النجوى ليخلصنا من هذه البلوى طالبين أهل الانصاف وكل من يتصف بالرحمة أن يرأف بنا معشر الجاويين الضعفاء القاصدين أداء فريضة الحج . بعد أن أذهبنا الكثير من عمرنا في تحصيل العدة لأدائه .

ذلك اننا معشر الحجاج من الجاويين تعودنا من قديم الزمان اذا وصلنا الى جدة أن نسأل عن اى شيخ من مشايخ الجاويين ليكون دليلا لنا فيما يتعلق بأمورنا فيقابلنا وكيل ذلك الشيخ أو هو نفسه ان حضر،وينزلنا في منزله ويستأجر لنا الركائب الى مكة بما قسم الله ويأخذ منا في مقابلة خدمته وسكنا منزله أجرا مناسبا واذا وصلنا الى مكة قابلنا ذلك الشيخ وأتباعه وهيئوا لنا منزلا تحمل أمتعتنا اليه وأضافونا يوم دخولنا ويؤخذون من كل واحد منا حق الضيافة ريالا ونصفا ويخدموننا مدة لبثنا بمكة فيما نحتاج اليه ،ثم يذهب بنا الشيخ الى المدينة المنورة بنفسه أو وكيله ويقوم بخدمتنا نظير أجر يتقاضاه منا كما أنه يقوم بكرى الجمال اللازمة ولا يزال على ذلك الى أن نرجع الى مكة علي أحسن حال ،ثم يذهب

---

(١) ابراهيم رفعت ،مرآة الحرمين ٨١/٢ ومابعدها .

بنا الى عرفات ويجهز لنا الطعام والخيام بلوازمها ويطعمنا يوم عرفة وأيام مني ويأخذ على كل شخص منا ريالين للطعام والخيام والخدمة والمنزل في مني أيضا ،ثم بعد أداء ، المناسك ينزل بنا بنفسه أو وكيله الى جدة وينزلنا الى الباخرة ويأخذ منا صاحبها باسم (البخشيش) بضعة ريالات وأجرة الباخرة يومئذ خمسة وعشرون ريالا تارة وسبعة وعشرون ريالا تارة أخري وبقي الأمر على هذا الى أن تولي الشريف عبد المطلب بعد وفاة الشريف حسين فخرج شقي من أشقياء مشايخ الجاوه يومئذ وهو ابراهيم العراقي البنا وسعى عند الشريف عبد المطلب لتقسيم بلادنا بين مشايخ الجاوى المقيدة اسماؤهم عنده في نظير أجر معلوم يتقاضاه من كل منهم وأقل ذلك عشرون ليرة ،ومن يومئذ ابتدأت المظالم علينا معشر الجاويين خاصة وعلي بقية الحجاج عامة وكل يوم تنمو نمو الزرع في الربيع ،وكان كل حاج مقهورا على الدخول في حظيرة شيخ جهته فصارت بلادنا كأنها مباعة لهؤلاء المشايخ وصاروا يتصرفون فينا تصرف الملاك في أملاكهم وسقطت حرمتنا التي كانت لنا حتي اذا أردنا الاجتماع بأصحابنا وأقاربنا المقيمين بمكة نمنع من ذلك اذا كان القريب أو الصاحب غير شيخ لجهتنا ،واذا أردنا أن نفعل الخير باخواننا وأصحابنا المذكورين لا نقدر عليه الا خفية كوصية بدل حج أو عمرة أو تهليل أو غير ذلك فيأبي الا اختصاصه بهذا البدل ،لذلك هجنا حتي كادت الفتنة تنتشر وقد رفعنا شكوانا الى حكام بلادنا فخابروا أولياء الأمور بالآستانة في شأن ذلك فأرسل جميل باشا الي مكة فأبطل تلك التقسيمات وخفت تلك المظالم بجعلنا أحرارا في اختيار من نشاء من المشايخ وبقي الأمر علي ذلك الى أن تولي راتب باشا فاتفق هو مع الشريف عون الرفيق على تأسيس قواعد المظالم وبناء أركانها القوية

فكل واحد منهما يبتدع مظلمة ويسكت الآخر عن الانكار عليه وهكذا في كل عـام وكل شهر وكل يوم .

ورجعت التقسيمات كما كانت نظير جعل جديد أقله أربعون جنيهـا افرنجيا ويزيد الى المائتين والثلاث وسرى ذلك الى جميع المطوفين ،وإمامهم في ذلك شيخ مشايخ الجاوة يوسف القطان الذى تفنن في المظالم وبرع فيهاحتي ادخل في حوزته كل الأقاليم التي يكثر ورود الحجاج منها فكان خمس الحجاج من الجاويين في قبضته وقل المال من يد المشايخ الآخرين حتي دفع بعضهـم الى الشحاذة ،ثم أخذ يعمل لأقربائه مثل ما عمل لنفسه وحرم بقية المشايخ ، فنهي وأمر وتكبر وتجبر وجمع من ذلك القناطير المقنطرة ،فأطعم منهـا الأمير وأتباعه وكل من يخاف من جهته الفتنة حتي توطدت له أمور المظالم ، ولما امتنعنا عن دفع المكافأة للشريف والمشايخ حملوها من ربان الباخـرة التي تقلنا ،وهذا زادها على الأجرة وحملها منا فأخذ من كل حاج أحد عشـر ريالا ولما خشي الشريف مغبة الاجبار على الدخول في حوزة من لا يرغب مـن المشايخ أباح لنا أن نختار أي المشايخ شئنا ولكن ما يؤخذ منا يعطـي لصاحب الجهة ومن دخلنا في مشيخته يتقاضي ما لصاحب الجهة ويختلق أسبابـا يأخذ بها بعض المال لنفسه أيضا فعظمت المظالم وفتحت أبوابها للأمير بعـد أن كان غافلا عنها ،فاندفع في اقتحامها وكان أمر المظالم من قبل من كاتـب الأمير محمد على وكان يعطي الأمير من الشاة أذنها فبني منها الدور والقصور للسكنى والاستغلال وصار يفتح لنا كل سنة أبوابا أخرى للمظالم حتي كدنـا نترك الحج وها نحن أولاء نفصل بعض تلك المظالم .

أولا : يؤخذ منا عند نزولنا من الباخرة باسم الزوارق والحمالين أضعاف ماكان يؤخذ منا سابقا.

ثانيا: عند سفرنا من جدة الى مكة يجيء المخرج المقام من جهة الأمير فيقدر لنا ما نحتاجه من الجمال ويطلب من كل واحد منا ثمانية عشر ريالا أو أكثر لركوبه وحمل متاعه وكل ريال واحد وثلاثون قرشا ولا نعلم أين يصرف ذلك وقد سألنا الجمالة عما يأخذونه من الأجرة فقال بعضهم ريالا ونصفا مع احتساب قيمة الريال (٢٨ قرشا) وبعضهم قال ريالين من الريالات الطاقية.

ثالثا: عند ذهابنا الى المدينة المنورة نسمع المنادى ينادى (ان ايجار الجمل الى المدينة المنورة ذهابا وايابا أربعون ريال مجيديا تارة، وأخرى ٤٨ ريالا مجيديا وكل ريال مجيدى ثلاثة وخمسون قرشا وستة ريالات مجيدية بجنيه أفرنكي ،ومشايخنا يطلبون منا على كل جمل مائة ريال وعشرة قيمة كل ريال (٣١قرشا) أو أكثر من ذلك بحسب رأفة المشايخ وعتوهم والزيادة تبلغ نحو ثلاثة جنيهات على كل جمل ،وقد بحثنا مع الجمال عن القدر الذي يصل الي يده فقال سبعة عشر ريالا مجيديا أو أقل بحسب حاجة الجمال وعدمها ،وسمعنا أن الذي للشريف وحده من الأجرة ثلاثة جنيهات فهي أكثر مما يأخذه الجمال والباقي لا نعلم مصرفه.

رابعا: اذا صعدنا الى عرفات يأخذ منا الشيخ حق الضيافة ليوم عرفه وأيام مني اربعة ريالات على كل واحد منا ،وبعض المشايخ يأخذ خمسة ريالا شنكوا أعني جنيها أو دونه بقليل ،وتختلف أحوالهم باختلاف الرحمة والغلظة لأنه لا حظر عليهم في شيء ما ،وكرى الجمل قد يصل الى عشرين ريالا ، والشريف يأخذ عن كل جمل ريالا مجيديا.

خامسا: عند سفرنا الى جدة تزداد المظالم لكثرة المخرجين حتي أن الجمل يحسب بجمل ونصف أو جمل وربع (والكوشان) أى الذى يأخذه الأمير من كل جمل يبلغ ثمانية ريالات مجيدية غير الأجرة ،وكرى الجمل الذي يأخذه الجمال مجيدى ونصف .

سادسا: عند طلوعنا الى الباخرة يؤخذ منا شيء باسم الزوارق والحمالين وكرى المنزل ،وعلي الجملة فكل حركة من حركاتنا يجعلونها مغنما لهم وزيادة على ذلك اذا مات واحد منا فأكثر المشايخ يبتلعون ماله ان لم يكن له مطالب ،فان كان،اختلفوا طرقا لاستلاب المال كبدل الحج واسقاط الصلاة وقراءة القرآن له واشتراء عقار يوقف باسمه ،ووكلاء المشايخ بجدة يأخذون من كل واحد منا خمسة جنيهات باسم دم مجاوزة الميقات ان أحرمنا من جدة مع أننا لم نعلم أن أحدا منهم ذبحه ،هذا حالنا مع هؤلاء الظلمة اذا حججنا الى بيت الله الحرام الذى يلجأ اليه المظلوم ،وقد صرنا فيه الآن محط رجال المظالم وتجارة تتخذ للمغانم ،ونحن علي يقين من أن جلالة السلطان الأعظم والخاقان الأفخم سلطان المسلمين وأمير المؤمنين ملك البرين والبحرين خادم الحرمين الشريفين والمسجد الأقصى مولانا السلطان الغازى عبد الحميد خان الثاني ،اذا اطلع على مظلمتنا أصدر ارادته السنية برفع كل بلية عنا أدامه الله،هذا ونقسم عليكم بكل آيات الله ان تبادروا بنشر ذلك عاجلا بعد وصول الرقيم اليكم وأن تصدروا بها جريدتكم جريدة الرحمة والرضوان جريدة رحمة الأمة المحمدية وناصرة الشريعة النبوية.

مكةفي ٥ شعبان سنة ١٣٢٣هـ .

الحاج باجودين الجاوى

المبحث الثاني

الدراسة التحليلية

* الحجاج الأفارقة .
* الحجاج الأفغان .
* الحجاج الهنود والباكستانيون .
* الحجاج المعمرون الأندونسيون والماليزيون .
* الحجاج الأتراك المعمرون .
* الخاتمة .

الحجاج الأفارقـــــة :

لعل دروب الحجاج الأفارقة ـ ونقصد بهم كل من أتى الى مكة المكرمـــة من بلاد : نيجيريا والكامرون وتشاد ـ من أكثر دروب الحجيج طولا وصعوبــــة ووعورة .

فقد كان على ركب الحجيج أن يسلك الغابات المكتظة بالحيوانات المفترسة ويتسلق الجبال الشاهقة ويعبر الصحارى الموحشة المقفرة الا من العواصــــف والرياح ، التي كانت تعصف بمواكب الحجيج ، وأن يركب البحر المليء بالأهـــوال والأخطار ـ بمراكب بدائية ساذجة ، كل ذلك جعل من رحلة الحاج الأفريقى رحلـــة مليئة بالصعاب والمتاعب والمشقات ، مما أضفى على هذه الرحلة قيمة معنويـــة كبيرة ومكانة عالية لمن يجتازها وينعم الله عليه باتمام المناسك ويعــود الى دياره بخير وسلام .

ونسبة الحجاج الأفارقة المعمرين قليلة نسبيا ، وخاصة عندما نعلـــم أن الرحلة قد استغرقت من بعضهم تسع سنوات متتالية بسبب المشاكل والأخطـــار التي كانت تحف بطريق الحج ، لذلك كان من الصعب ان نلتقي بمن كرر هذه الفريضة من المعمرين ، الا أننا استطعنا مقابلة عدد من الحجاج الأفارقة المعمرين ممـــن أدى فريضة الحج في السنوات الماضية وكان معظمهم قد أداها في حدود عام ١٩٤٠م وجل هؤلاء أتوا للحج من نيجيريا سالكين طريق البر للوصول الى مكة المكرمـة ، لذلك سيكون وصف طريق الركب ووصف مكة المكرمة ودروبها والمدينة المنـــورة ومناطقها والمشاعر المقدسة أثناء وخلال تلك السنوات ومايقاربها قربا أوبعدا.

وصف الطريق :

كانت الدواب ـ الابل والحمير والخيول ـ وسيلة السفر والتنقل للحجاج الأفارقة ،نظرا لتحملها مشاق السفر ،وخاصة الجمال التي اتخذها الحجاج وسيلة لقطع المسافات الطويلة التي كانت تخلو من مياه الشرب كالفيافى والقفار ، ولرخص الأجرة المطلوبة فيها ،عن الوسائل الأخرى كالقطارات والسيارات التي كانت قليلة ،وقد استخدمها بعض الحجاج لقطع المسافات التي لاتتوفر فيها الدواب ،فكان الحاج النيجيرى عندما ينوى أداء فريضة الحج يقوم بتسديد ديونه يساعده في ذلك بعض الأهل والأقارب ،ويبقى مبلغا من المال للأهل ويصطحب معه ماتبقى منه وغالبا كان في حدود ومايساوى مائتي ريال كما يقوم باصطحاب بعض الأدوية المركبة من الأعشاب معه ذلك بغرض استعمالها في الحالات الطارئة خلال الرحلة أو بيع بعضها في مكة أحيانا ،فكان يجهز أمتعته التي سيصطحبها في حقيبته من الخشب وغالبا كانت تتكون من بعض الملابس والأطعمة الجافة كالدقيق والمديدة اضافة الى بعض لحوم الحيوانات التي يصطادونها أثناء سفرهم .

ثم يخرج من مدينته أو قريته ويتوجه الى احدى المدن الرئيسية في نيجيريا مثل لاجوس أو كانو لانهاء معاملات السفر هناك مستعينا بالمواصلات المتوفرة آنذاك ،كالقطار أو الدواب وماشابه ذلك .

ثم ينطلق ركب الحجيج غالبا من تلك المدن ليتوجه الى مكة المكرمة فكان على الركب ان يقطع بعض المدن الصغيرة ليلتقى بمدينة (غايا) من مدن نيجيريا حيث يمكثون فيها فترة قصيرة ثم ينطلق الركب بعد ذلك الى (ميسو) وهي ايضا من المدن النيجيرية ،ويلاحظ على الركب عدم المكوث كثيرا داخل الأراضي النيجيرية لشوقه في مواصلة هذه الرحلة ليصل الى الديار المقدسة ثم يتحرك الركب تجاه مدينة (بوتسكوم)

ثم يصل بعد ذلك الى مدينة (ميدفرى) التي كانت ملتقى الحجاج - ومعظم الحجاج الذين أدوا الحج ثم كرروه بعد ذلك كانوا من هذه المقاطعة أو من ضواحيها وبعد قضاء فترة قصيرة في هذه المنطقة يرحل الى (ديكور) ثم الى (بنفر) ثم الى (جامينا) وهي الحدود التشادية النيجيرية حيث يمكث فيها الحجاج فترة تقارب الشهر في الحالات العادية وكانت تزيد على ذلك أضعافا في حالة نشوب حروب بين القبائل التي تسكن على محاذاة طريق الحجاج . ،ثم يتحرك الحجاج الى(مسكورى) ومنها ينتقلون الى اديرى التي كان يجلس فيها الحجاج فترة تقارب الشهرين ومنها يخرجون الى افكدوا ثم الى فهول ثم يرحلون منها الى الجنينة وهي الحدود التشادية السودانية فيدخلون السودان ونظرا لتفشي الأمراض والأوبئة في تلك المناطق وخاصة تشاد كان القادمون الى الجنينة يحجزون في المحجر الصحي مدة طويلة وصلت بعض الأحيان الى أربعة أشهر، دون ان يتوقع الحجاج ذلك ،فكان يدركهم الحج وهم في الطريق ولم يصلوا الى الديار المقدسة ،وبعد خروجهم من المحجر الصحي كان الحجاج يمكثون مدة في الجنينة وخاصة عند فوات موسم الحج - الذين كانوا يفضلون اداء المناسك فيه أو اقترابه وتيقن الحجاج من عدم ادراكهم له ،فمن شارفت أمواله على الانتهاء ذهب باحثا عن موارد الرزق ليشتغل في الزراعة أو أى عمل بسيط يستطيع أن يجمع منه دراهم معدودة للانتقال الى مدينة أخرى لمتابعة رحلة الحج ،ثم يخرجون من الجنينة الى النشر ثم الى أم كداده وقد استخدم الحجاج متوسطى الحال في التنقل من الجنينة الى أم كدادة السيارات التي كانت متاحة ومتوفرة في ذلك الوقت ،ثم يرحلون من أم كدادة الى الهنود كما يسميها البعض أو أحود ( ) ليصلوا بعد ذلك الى الأبيض وهي احدى مدن السودان التي يجتمع فيها الحجاج ليستقلوا بعد ذلك القطار - ليرتاح الحجاج من عناء الطريق

ووعثاء السفر فيعبر بهم القطار الى سينور ثم يتجه نحو الشمال مرورا بوادى مدني ليصل بهم بعد ذلك الى الخرطوم .

فمن أحب أن يمكث فيها مكث ليبحث عن أسباب الرزق وموارد العيش لينفق بعد ذلك بسخاء في الديار المقدسة والا تابع رحلته من الخرطوم وبالقطار أيضا الذى يتابع رحلته شمالا ثم يتجه بهم جهة الشرق ليصلوا الى ميناء مدينة سواكن الذى يقصده الحجاج دائما ليركبوا بعد ذلك البحر قاصدين مدينة جدة .

وبالرغم من وقوع ميناء سواكن بالقرب من بورت سودان الا أن الحجاج الذين أجريت معهم المقابلة لم يستخدموا هذه الميناء مطلقا وانما الميناء الوحيد كان ميناء سواكن الذى ينقلهم الى جدة لتبدأ بعد ذلك مرحلة ثانية من الرحلة وتختلف اختلافا كليا عن الشوط الأول .

أهم المشاكل التي كانت تواجه ركب الحجيج على هذا الطريق :

واجهت ركب الحجاج الأفارقة مشاكل عديدة أثناء هذه الرحلة الطويلة الى الأراضي المقدسة ،فكان على هذا الركب أن يقطع أحيانا الصحارى والفيافي التي كانت تخلو من الماء العذب الصالح للشرب مما أدى بطبيعة الحال الى وفاة بعض الحجاج نتيجة ذلك وكثرة الغبار والعواصف المليئة بالأتربة مما كان يعيق مسيرة الركب لعدم وضوح الرؤية ،وضياع الطريق في معظم الأحيان،كما كان يسلك هذا الركب الغابات المليئة بالحيوانات المتوحشة والمفترسة وما اليها ،فكثيرا كانوا لايستطيعون النوم وقد انهكهم التعب ـ خشية تلك الحيوانات بل عليهم مواصلة السير حتى طلوع الشمس ليستريحوا بعد ذلك قليلا من وعثاء السفر .

وان سلك هذا الركب طريق البحر أحيانا أخرى كانت هناك مشاكل من نوع آخر وهي تحمل الأهوال التي تعترى ركوب البحار كالعواصف والرياح التي تغير وجهة المراكب البدائية الصنع والصغيرة الحجم التي كان يسافر بها الحجيج ولاتقدر على مواجهة مخاطر البحر أو مواجهة الرياح والعواصف اضافة الى مهاجمة بعض الحيتان الكبيرة لتلك المراكب الشراعية الصغيرة .

ونظرا لمرور هذا الركب على الأقاليم والقرى الأفريقية المتعددة والمختلفة في عاداتها وتقاليدها ،كانت تنشب الحروب القبلية الكثيرة بين سكان تلك الأقاليم ،فكان على الحجاج ـ ان لم يوجد طريق آخر أن ينتظروا حتى تنتهى هذه الحروب ـ والله أعلم بمدتها ـ ليستطيعوا مواصلة السير ،اذا لم يذهبوا ضحية لتلك الحروب القبلية .

ولعل الوقت الطبيعي الذي كانت تستغرقه الرحلة هو شهر واحد قد يزيد قليلا أو ينقص عنه الا أن معظم الحجاج كان من الفقراء ومتوسطى الحال .

فالمشاكل التي كانت تواجههم وتعيقهم عن متابعة السفر كانوا يضطرون للبقاء مدة طويلة في بعض الأمكنة ويكون الحاج قد أنفق ما اصطحبه معه من المال وهو في الغالب مائتي ريال التي بقيت من تسديد ديونه والجزء الذي أبقـــــاه لأهله فيبدأ البحث عن أسباب الرزق خلال الطريق لمتابعة رحلة الحج ،وغالبـــا ماكانوايشتغلون في الزراعة أو البناء أو غير ذلك كما سبق .

فهذا مجمل ما كان يواجهة الحاج الأفريقي خلال رحلته هذه ولايشعـــــر بالأمان الا عندماتطأ قدماه أرض جدة استعدادا للسفر الى مكة المكرمة .

رحلة العودة والاحتفـــــالات :

وبعد زيارة المدينة المنورة يعود الحجاج الأفارقة الى جدة لينتقلوا بالمراكب الصغيرة الى سواكن ويعودون من حيث أتوا وبالطريقة نفسهــــــا ، ويتحملون أحيانا المصاعب والمشقات التي تحملوها خلال رحلة القدوم .

وعندما يدخل الحاج أراضي بلاده كان يبرق الى أهله بوصوله الى مدينة كذا فيخرج معظم أهل القرية أو البلدة لاستقباله من حيث ودعوه قبل ذلـــــك مصطحبين معهم فرسا أبيض ليركبه الحاج فرحة بقدومه وعودته بسلام ثم يتوجهون الى مسجد البلدة أو الى بيت شيخ القرية ليدعوا لهم ثم ينتقل الحاج بعـــــد ذلك الى بيته ليستقبل المهنئين الذين يستقبلهم لمدة أسبوعين أو شهـــــر تقريبا .

وكان من عادات بعض القبائل الأفريقية ان لايدخل الحاج الى بيتــــــه مدة ثلاثة أيام بل يبيت خارج بيته ولايجامع زوجته الا بعد مضي شهر حتــــــى لايفسد حجه حسب اعتقادهم .

أما الهدايا التي كان يصطحبها معظم الحجاج الأفارقة من الأراضي المقدسة فهي ماء زمزم وبعض الملابس كالغترة والمنديل والعباءة ـ ليلبسها الحاج نفسه اذا عاد لبلده في المناسبات الخاصة كيوم الجمعة والعيدين ليعرف أنه ادى فريضة الحج ،كما كانوا يصطحبون معهم بعض التمور من المدينة المنورة ،الا أن مشاكل الطريق من عطش وجوع حالت في معظم الأحيان دون وصول ماء زمزم والتمر الى أهل الحجاج لاستهلاك هذه المواد في طريق العودة أثناء المحن والمصاعب التي تلم بهم .

وكان الحاج الأفريقي بعد عودته يتمتع بمكانة عالية في مجتمعه الذي يحيط به فالكل يجله ويحترمه ويقبل يديه ويطلب منه الدعاء تبركا لزيارته لهذه الأراضي المقدسة .

الحجاج الأفغـــــان :

وصف الطريق :

يختلف درب حجاج الأفغان عن غيره من الدروب ،فهم يشتركون في هـــذا الدرب مع الحجاج الباكستانيين في بعض الأحيان ،وهذا الاشتراك يكون عبــر الطريق البحرى الذي قد يسلكه الحجاج الأفغان ،ويشتركون مع حجاج ايران فــي الطريق البرى الذي سلكه الأفغان في معظم الأحيان .

فالذي قد نوى أداء المناسك وعزم على ذلك واختار ركوب البحر لقلــة أخطاره ومصاعبه مقابل طريق البر ـ كان يتوجه الى باكستان الى كراتشــي ومنها يستقل الباخرة التي تنقله الى جدة سالكة خليج عمان وخليج عــدن ثم تدخل البحر الأحمر لتستقر في ميناء جدة الاسلامي وتستغرق الرحلة أربعــة عشر يوما في معظم الأحيان .

أما طريق البر فكانت تختلف منازله ودروبه ،لأن الحجاج الخارجيــن من شمال أفغانستان يختلف طريقهم عن الخارجين من جنوبها ولابد أن يعبــر الاثنان ايران الا أن المناطق والدروب التي كانوا يسلكونها تختلف أيضــا ، ويجتمع الافغان معا في مدينة البصرة العراقية وكانت وسيلة السفر القديمــة للذين يسلكون الطريق البرى هي السير على الاقدام من موطنه الى مكة المكرمــة وكانت هذه الرحلة تستغرق سنة كاملة للذهاب وسنة أخرى للعودة ،ناهيك عمــا تحمله من مصاعب ومتاعب وما تخلده من ذكريات وأمنيات .

الا أن الفريق البحثي لم يحالفه الحظ بلقاء أحد الحجاج المعمريــن ممن أدوا هذه الفريضة سيرا على الأقدام ،ولو توفر ذلك لأمكن الافادة مــن معلومات وحقائق قد لاتوجد في كتب التاريخ وغيرها .

وعادة القدوم الى الحج مشيا على الأقدام من قبل الحجاج الأفغان قد اندثرت عندما بدأت وسائل الانتقال المتعددة (كالسيارات والباصات) في الظهور تدريجيا فكان الحجاج الذين يستقلون هذه الوسائل ويسلكون الطريق البرى مرورا بايران سالكين مدنا عديدة فيها كمدينة مشهد ونيسابور وساوى وشاه رودماهي دلست وطهران وهمدان وملاوى وبهذا يكونون قد امضوا داخل الأراضي الايرانية مدة أربعة ايام متتالية • ثم يدخلون العراق بعد ذلك مارين بمدينة السلام بغداد ثم يرحلون منها الى البصرة وكانت مدة سفرهم في العراق تستغرق يومين اثنين ثم يخرجون الى الكويت ويمكثون يوما واحدا ثم يدخلون بعد ذلك الى أراضي المملكة حيث يدفعهم الشوق لمواصلة المسير ولو أنهم شارفوا على التعب والنصب لرؤية البيت العتيق فيمرون على الدمام ثم ينتقلون الى عاصمة البلاد الرياض ويمكثون فيها يوما واحدا ثم يرحلون الى الطائف وفيها تبدأ استعدادات الحجاج لدخول مكة المكرمة •

وغالبا ماتستغرق هذه الرحلة البرية من الحجاج احد عشر يوما أواثنى عشر يوما •

ونظرا لحب الحجاج الأفغان التنقل سيرا على الاقدام مع كبر سنهم - كانوا يوّدون أداء هذه الفريضة سيرا على الأقدام طلبا للأجر والثواب ،ولما اندثرت هذه العادة لاحظت الدراسة أن كثيرا منهم ينتقلون بين المشاعر - الحرم - منى - مزدلفة - عرفات - سيرا على الأقدام وكذلك يزورون بعض الأماكن الأخرى كجبل النور وغار ثور مشيا على الأقدام وكذلك الحال في المدينة المنورة •

مشاكل الطريـــــق :

ان الذين أجريت معهم مقابلات وسلكوا الطريق البحرى لم يذكروا أنهم واجهوا أى مشاكل ويبدو من ذلك ان البواخر التي كانت تنقلهم كانت أحسن حالا بكثير من القوارب التي كانت تنقل حجاج افريقيا ولعل سبب ذلك طول المسافة بين كراتشي وجدة .

أما الذين سلكوا الطريق البرى فكانت أهم المشاكل التي واجهتهم هي كثرة الثلوج الموجودة في الأراضي الافغانية والهواء البارد الذي يلفح وجوه الحجاج ،فكثيرا ماكانت قافلة الحجاج لاتسير ليلا حتى لاتضل الطريق بسبب تراكم الثلوج وتنتظر حتى الصباح ليبدأ الحجاج بجرف الثلوج الى جانب الطريق لتتمكن السيارات من العبور ..

احتفالات العـــودة :

بعد زيارة المدينة المنورة يعود الحجاج الأفغان الذين قدموا للحج عن طريق البحر الى مدينة جدة لينتظروا البواخر التي ستنقلهم مع الحجاج الباكستانيين الى ميناء كراتشي . وأما من قدم عن طريق البر فانه يتابع سفره من المدينة المنورة باتجاه الرياض ليعود من حيث أتى .

وعندعودة الحاج الأفغاني الى بلده يأتى الأهل والأقارب لاستقباله ،وينحرفي هذه المناسبة خروفا ليوزع على الفقراء والمساكين شكرا لله وحمدا له على عودة الحاج بسلام .

ويوزع ـ على من حضر للسلام على الحاج ـ بعض حبات التمر وقطرات من ماء زمزم ،ويعطى البعض من الهدايا التى اصطحبها الحاج معه من مكة أو المدينة كالمسابح والغتر وغير ذلك .

الحجاج الهنود والباكستانيون :

تتفق أقوال المعمرين الذين أجريت عليهم الدراسة الميدانية ـ علي أن الحج كان يتم عن طريق السير على الأقدام في أغلب الأحوال ما عـــدا المسافات التي تتطلب سفرا في البحر.

وكانت هذه الرحلات تستغرق من ٤ الى ٩ أشهر بحسب الحالات التي يمــر بها الحاج أثناء السفر . مع التأكيد على أن هذه الرحلات لم تكن منتظمة.

وكان طريق الحاج الهندى يمر اما عن طريق (لكنهو ثم البنجــاب فخيبر ،ليصل الي بغداد ومن ثم الى أرض الحجاز ،واما أن يسلك البعض طريــق : مو ـ بنا ريس ـ بومباي ـ جده .

وتغيب المعلومات الدقيقة عن أذهان المعمرين نظرا لكبر السن . فــلا نجد وصفا تفصيليا للطرق مما يحرم البحث كثيرا من المعلومات عن طريق الحــج الهندى .

وأقدم الرحلات التي ظهرت من خلال العينة المتوفرة . تلك الرحلة التي قام بها أحدهم عام ١٩٢٩م ،كما يروى آخر بعضا من أطراف رحلة أبيه عام ١٨٨٠م.

أما عن العادات المتبعة في وداع الحاج فهي لا تختلف كثيرا عن تلــك التي يقوم بها المسلمون لوداع ذويهم وأقاربهم ـ الا أن الأمر المميز هنــاك وخاصة في الماضى ان الناس كانوا يعتقدون أن الأفراد الذين سيذهبون الــى الحج لن يرجعوا اليهم..

وبعضهم كان يكتب الوصايا : ومن ذلك أنهم كانوا يوصون زوجاتهم قبـل الرحيل بأنهم ان لم يرجعوا خلال أربعة أعوام فلهن الخيار : اما الانتظــار

واما الانفصال والزواج من آخر.

ومنهم من كان يبذل جهده لقضاء دينه وابراء ذمته من الغير،وان كان معسرا يطلب من الدائن التنازل والسماح .

وكانت حفلة الوداع مؤثرة جدا لذلك يجتمع الأهل والأقارب والأصدقاء لوداع الحاج اعتقادا منهم أنهم يودعونه الوداع الأخير والذى لا لقاء بعده في هذه الدنيا..

وهذا يرجع في الدرجة الأولي الى تلك الحالات الصعبة التي كانت تعيشها الجزيرة العربية آنذاك .

أما الصعوبات والعقبات التي كانت تعترض الحاج الهندى فهي كثيرة جدا.

فقد كان المرء منهم يكد ويتعب من أجل توفير النقود اللازمة لأداء الفريضة نظرا لحالة الفقر في أغلب الأحيان ولوجود الاستعمار الانكليزي آنذاك والذى كان يفرض عليهم ما يعيق حجهم. وبالتالي ما كان يكلف الحاج وقتا طويلا لجمع ما يعينه على الانفاق..

اضافة الى ذلك هناك وعورة الطريق وعدم وجود وسائل النقل المريحة والمنظمة فضلا عن المتاعب والصعوبات التي تنجم عن تعرض رجال العصابات وقطاع الطرق لسلب أموال الحجاج.

ولهذا كان الخوف مسيطرا على الناس ،وقد كانت هذه الظاهرة مشتركة بين الحجاج بشكل عام.

وكما كان يفعل بعض الحجاج الأفارقة وغيرهم من الفقراء فان العديد من الحجاج الهنود كانوا يعملون أثناء رحلتهم في المحطات التي ينزلون فيها لتوفير بعض المال من أجل مواصلة رحلة الحاج.

ويؤكد أغلب المعمرين أن السفر كان على ظهور الأبل وكانوا يمشون علي الأقدام بين مكة والمدينة وبقية المشاعر المقدسة . حيث يسيرون في الليل وينامون في النهار،وممن يجيد منهم الكتابة عكف على كتابة ما أمكنه من تسجيل وقائع رحلته التي قام بها ،ومن ذلك ما قام به أحدهم عام ١٨٨٠ م ذكر فيها مالاقاه في طريقه من صعوبات ومشقات . كما ذكر البعض أنه في عام ١٩٥٣م بني نصف طريق ـ مكة ـ المدينة.

أما من الماء فقد كان قليلا وشحيحا . أما السكن فقد تميز بالبساطة كذلك المعيشة كانت رخيصة ومتوفرة.

ويصف أحدهم اولئك الذين يقطعون المسافات سيرا علي الأقدام أنهم كانوا يختارون ساعات الليل لسيرهم فمنذ الساعة الرابعة الى الساعة الثانية صباحا بالتوقيت الغروبي كان الناس يسيرون وفي النهار يستظلون تحت ظل شجرة او ينامون في ظل جبل او مغارة ،وكانوا يخافون كثيرا من قطاع الطرق وبعضهم روى قصصا عما حدث له مع اولئك اللصوص وما كانوا يفعلونه.

ووصف احد المعمرين ممن حج عام ١٩٢٩م الحرم المكي الشريف بأن مساحته كانت صغيرة بالنسبة لما عليه اليوم . كما ان سكان مكة كانوا قلة وليست هناك مضايقات أو مشاكل من المطوفين كما يحدث اليوم في بعض الحالات . وكان ماء زمزم ينزح بالدلو . كما أن مصاريف الحج كانت قليلة جدا بالنسبة لما عليه الآن.

وأكثر ما كان يضايق الحجاج آنذاك في مني مثلا . تصاعد الروائح القذرة والأوساخ ،أما الآن فقد قلت كثيرا وظهر تحسن كبير علي هذه المرافق نظرا للخدمات التي تقوم بها أجهزة الدولة. مع توجيه الشكر للقائمين علي ذلك والدعاء لهم لبذل المزيد من الجهد في سبيل الأحسن والأفضل .

أما الملاحظات العامة فيؤكد معظم المعمرين أن الفروق واضحة جدا في مجال توسيع الخدمات في الحج مع أعتراف البعض بجهود الدولة في هذا المجال ويعتب البعض الآخر علي المسؤولين لسماعهم للمطوفين فقط دون الحجاج محملين المسؤولية لاولئك المطوفين الذين يعاملون الحجاج بغلظة ورداءة .مطالبين الحكومة بتصحيح أوضاع الحجاج الهنود مع توجيه البعض الآخر الشكر للحكومة على ما أبدته من تحسين في مجالات الخدمة والاستعداد التام لموسم الحج ولتوفير العناية والرعاية الصحية وغيرها مما يحتاج اليه الحاج.

ومن الذكريات التي يرويها بعضهم أنه كان في مكة عمارة كبيرة اسمها الداودية وكانت أمام باب ابراهيم وبعدها عمارة الحميدية وكذلك التكية المصرية.

ويعترف الكثير بحسن أخلاق أهل المدينة وحبهم لهم ،وقسوة أهل مكة وغلظتهم ،بينما يؤكد البعض الآخر احترامه وحبه للجميع .

أما عن أنواع الهدايا التى كان يحملها الحاج الهندى من مكة والمدينة الى بلده فهي تلك الهدايا التقليدية التي يحملها كل حاج تقريبا كالمسبح والتمر والأقمشة.

أما الظاهرة الملفتة للنظر والتي يؤكدها العديد من هؤلاء المعمرين أن الحاج كان يحمل معه وعاء صغيرا من ماء زمزم وحينما يصل الي بلده يضع قطرتين من زمزم في دلو كبير يحوى ماء عاديا ويسقي الناس منه.

أما عن الاحتفالات بعودة الحاج فقد أكد الكثير من المعمرين أن الحاج اذا رجع الى بلده قديما كان يحتفي به كثيرا ويقيمون له الولائم لأنهم كانوا يعتقدون أنه لن يرجع اليهم ،ولهذا فهم يطوفون به في شوارع البلدة مطوقين عنقه بعقود الزهر والورد ويحملونه الي عمدة البلدة أو أميرها وهناك يكرمونه تكريما كبيرا ومنهم من يقرع الطبول والمزامير وقد استنكر الحجاج الباكستانيون هذه البدعة وذموها .

أما فرحتهم بعودة الطفل الحاج فهي عادة مميزة عما هي الحال عند غيرهم.

ومن الذكريات التي يوردها هؤلاء المعمرون ،أن الناس كانوا قديما يوصون الحاج بالدعاء لهم في الحرمين الشريفين.

أما اليوم فقد اختلفت الأحوال وأصبح الناس يطلبون من الحاج أمورا مادية بحتة كالأدوات الكهربائية والمسجلات والتلفزيونات وغيرها.

المعمرون الاندونيسيون والماليزيون :

هناك عادات وتقاليد مشتركة بين الحجاج الاندونيسيين واخوانهم الماليزيين،ولشدة التشابه بينهم في هذا المجال فقد وجدت الدراسة سهولة في الحصول على المعلومات المطلوبة وتوفر لها الوقت الكافي للوصول الى النتائج المرجوة ٠

وتجدر الاشارة الى ان الشعبين يلتزمان فقهيا بمذهب الامام الشافعي رحمه الله ٠

وتبدأ رحلة الحج عندهم فور اعلان المرء عن عزمه للسفر الي الديار المقدسة لأداء فريضة الحج ،علما بأن عملية اختيار الحجاج بالقرعة لم تكن معروفة من قبل كما هي عليه الآن ٠

وقبل رحيل الحاج بأسبوعين أو ثلاثة يتوافد الزوار والأقارب لوداعه وتوصيته بالدعاء ،اما على جبل أبي قبيس كما هومشهور عندهم أو على جبل الرحمة كما هي الحال عند جميع الحجاج ٠

وكثيرا مايقوم هؤلاء بتقديم المساعدات العينية كالمال ومؤنة السفر للحاج ويجرى الوداع حتى سلم الباخرة بمواكب حاشدة قد تضم بعض الأحيان عمدة البلد أو عدد من أعيانها ٠

ومن ذلك نعلم أن وسيلة النقل المشتركة بين الجميع كانت البواخر حيث تتراوح المدة التي تستغرقها الرحلة مابين ١٤ الى ١٧ يوما ٠

وقد كانت شركات البواخر الهولندية هي التي تقوم بهذه العملية نظرا لاستعمار الهولنديين لتلك الاصقاع ٠

وتتفق معظم آراء المعمرين على أن المشايخ والمطوفين القدامى كانوا يتوافدون الى تلك البلاد اما بأنفسهم أو عبر وكلائهم حيث يقومون بالاعلان عن استعدادهم لتقديم الخدمات للحجاج في المشاعر المقدسة .

وتؤكد المعلومات المتوفرة أن وصول الحجاج الى ميناء جدة كان سهلا وميسرا الا أن معظم الطرق الداخلية بين جدة ومكة والمدينة كانت غير معبدة وبالتالي كانت الرحلات الداخلية متعبة وشاقة لاعتمادها على السيارات والحافلات القديمة البطيئة .

ومن بين الذكريات التي يحملها بعض الحجاج عن أجدادهم وآبائهم ممن حجوا سابقا ،أن وسائل النقل كانت تقوم في معظم الأحوال على الدواب كالابل وغيرها .

مشقات الطريق ومصاعبه :

ويتحدث المعمرون عن وجود قطاع الطرق أثناء الرحلات وهذا ماكان يثير الرعب في قلوب الحجيج فضلا عن الخوف الذي كان ينتابهم من جراء حرب اليابان والانكليز خلال الحروب العالمية الماضية والتي شكلت خطورة كبيرة على ركب الحجيج في البحر ،فكان الحاج يودع الوداع الأخير .

ويثني المعمرون على المعاملة الحسنة التي كانوا يلاقونها من قبل المشايخ والمطوفين القدامى ،فقد أكدت نسبة كبيرة منهم أن مشايخهم على وجه الخصوص ـ ماعدا القلة منهم ـ كانوا يقومون بحل الأعباء المتعلقة بالحجاج اضافة الى تعليمهم مناسك الحج والسهر على راحتهم . وقد اختفت هذه المزايا فيما بعد .

أما عن النفقات التي كان الحاج ينفقها : فقد اختفت عما كانت عليه في السابق حيث كانت كلفة الحاج ١٤٠٠ ريال وهي كافية ،أما اليوم فلا يكفيه ٧٠٠٠ ريال . بين نفقات اقامة وهدايا .

أما عن الهدايا التي كان يحملها الحاج فتتراوح بين ماء زمزم ،والتمر والمسابح والكوفيات والسجاد وغيرها ٠

كما تعرضت هذه الشريحة من المعمرين للانجازات التي حدثت في طـــرق المشاعر والتسهيلات الأخرى فجاءت معظم الآراء مثنية على هذا الجانب ٠

أما عن السلبيات فقد انحصرت في عدم توفر العناية بوجبات الطعام لـدى بعض المؤسسات خاصة في منى وعرفات ومكة ٠

ومما يضاف الى الحسنات توفير المياه في المشاعر المقدسة في حيـــن أنها كانت قليلة في الماضي ٠

كما اشتكى البعض من مشكلة اللغة ،للتخاطب والتعامل مع المطوفيـــن وغيرهم ٠

رحلة العـــودة :

أما عن رحلة العودة الى الوطن فتؤكد نسبة كبيرة من المعمرين أن الفترة التي كان يقضيها الحاج في مكة والمدينة قد تستغرق من شهر رجب الى ربيـــع الأول وبعضهم كان يتلقى العلم في المدارس الموجودة كالصولتية أو حلقات العلـم في الحرم الشريف ٠

أما بالنسبة لعادات وتقاليد وصول الحجاج الى بلادهم فقد أكد معظـــم الذين شملتهم العينة أن الاحتفال بالحاج العائد يبقى مستمرا عدة أيام ابتهاجا وفرحا بعودته ٠

كما أن الحالة الاجتماعية والمادية تتحسن في معظم الأحيان حيث يقـــوم المجتمع بتكريم واحترام الحاج وتقديم التسهيلات العملية والوظيفية ان أمكـــن والعناية به وقد يتولى مناصب مهمة في الدولة ٠

الحجاج الاتـراك المعمرون :

العادات قبل رحلة الحـاج:

قبل سنة ١٩٥٠م لم تكن الحكومة التركية قد سمحت بعد للأتراك بالحج. وكان شوق المسلمين الأتراك الى روّية البلاد المقدسة عظيما ،لذا فما أن سمحت لهم حكومتهم بالحج حتي هب كثير منهم لأداء هذه الفريضة ،ومن لم يستطع الحج حضر الي من يريد الحج وودعه وأوصاه بالدعاء.

والعادات قبل الحج في تركيا تختلف بين المدن والقرى فحيث نجد أن أهل القرى يجتمعون عند من يريد الحج ويشيعونه الى أن يخرج من القرية ، وامام القرية معهم يدعو للحاج وأهل القرية يوّمنون ثم يطلبون منه ان يتذكرهم بالدعاء عند الكعبة وفي عرفات وان كانت حالة الحاج المادية جيدة فانه يقيم مأدبة طعام لأهل القرية احتفالا بهذه المناسبة السعيدة،بينما لا توجد كثير من هذه المظاهر في المدن التركية ،ويكتفي بوداع الحاج.

الرحلة من تركيا الى جدة :

غالبية الحجاج الأتراك ،وعلي الخصوص في السنوات الأولي التي أذن لهم فيها بالحج ـ كانوا يستعملون البواخر للسفر الي المملكة العربية السعودية .

ينتقل الحجاج الاتراك من مدنهم وقراهم الى ازمير حيث يركبون البواخر المعدة لهم فتبحر بهم السفن الى ميناء بورسعيد عبر البحر الأبيض المتوسط ومن بورسعيد ينتقلون عبر القناة الى ميناء جدة ،وكانت هذه الرحلة من ازمير الى جدة تستغرق ستة او سبعة أيام.

الرحلة من جدة الى مكة :

بعد النزول من البواخر كان الحجاج ينتظرون في مدينة الحجاج عدة أيام قبل الذهاب الى مكة.

والطريق من جدة الى مكة المكرمة كانت ترابية والمواصلات كانت اما بالحافلات او بالشاحنات التي أعدت لنقل الحجاج ،وسقف الحافلات منخفض ،وبسبب انخفاضه وسوء الطريق فقد كان الحجاج يتعرضون للقفزات المستمرة التي قد تؤثر في رؤوسهم ،ولعل المأساة التي كان يعانيها الركاب من السائقين اشد، فقد كان يعمد كثير من السائقين الى الاستراحة في الطريق ولا يواصل السير الا اذا جمعوا له مالا من الركاب ويحصل هذا مرارا.

الحرم الشريف :

المسجد الحرام في تلك الفترة لم يكن قد شهد التوسعة السعودية الاولى ،فكان محاطا بالمباني والأزقة الضيقة ،وكان الطريق بين الصفا والمروة ترابيا . والدكاكين منتشرة على جانبي المسعى ،والميلان الأخضران كانا عبارة عن عمودين من الشجر.

أرض المطاف حول الكعبة المشرفة كانت رخاما تختزن الحرارة وكان هذا يؤثر كثيرا على أقدام الطائفين وخاصة في وقت الظهيرة فمن شدة الحرارة تكاد جلود الأقدام أن تسلخ.

الخدمات في مكة المكرمة :

كان نظام الطوافة بالنسبة للحجاج الأتراك محددا منذ العهد العثماني ، فلكل ناحية من نواحي تركيا مطوف خاص ،لا يستطيع الحاج التركي أن يختار غيره ،واذا حصل أن ذهب الى غير مطوفه فان المحكمة تعيده لمطوفه ويعرف

الحاج من اى بلدة أتي من جوان سفره .

كان المطوف لا يؤمن لحجاجه سوى المساكن وماء زمزم فقط ،وبعض المطوفين كانوا يؤمنون ايضا المراتب والفرش ،ولم تكن الكهرباء في البيوت قد وجدت بعد ،وكذلك المراوح ،وكان الحجاج يستعملون المراوح اليدوية ، وتبريد الماء كان يتم بوضعه بالجرار او القلال الصغيره وتعريضها للهواء لان الثلج كان قليلا .

ومن الخدمات التي كان المطوف يقدمها لحجاجه ايضا ،ان يرسل مع كل مجموعة منهم احد غلمانه ليقوم بتطويفهم والدعاء لهم ،وكان المطوفون حريصين على ذلك من أجل أن ينالوا رضا حجاجهم فيسبغون عليهم العطاء والبخشيش للغلمان .

كانت العلاقة بين المطوف والحاج وثيقة وطيبة ،وكان المطوفون يلبون رغبات الحجاج بقدر استطاعتهم ،فقد كان الحجاج أغنياء وأهل مكة فقراء ، فبقدر حاجة المطوف الى مال الحجاج كان يقدم لهم أحسن الخدمات المستطاعة .

الخدمات في المشاعر:

لم يكن المطوفون يجهزون خيومهم في مني وعرفات في وقت واحد وانما ينصبون الخيام في عرفات وبعد غروب شمس يوم التاسع يفكونها ويحملونها الى مني .

لم تكن توجد حمامات لقضاء الحاجة في مني وعرفات ،لذا كان الحجاج يتخذون السور المحيط بالمخيم مكانا لقضاء الحاجة فتنتشر الروائح الكريهة وتؤذى الناس .

وقد تحدث أحد الحجاج الأتراك (شريط ١٤٦ تركي ١-١٣/١٢/١٤٠٤هـ) وهو الحاج حسين قلعلي عن عاصفة شديدة هبت في عرفات في موسم سنة ١٩٥٠م حيث امطرت السماء ثلجا كبيرا مثل حبة الليمون وقد تعجب الحجاج الاتراك من عظم الثلجة ففي بلادهم بلاد البرد والمطر لم يشاهدوا ثلجا بمثل هذا الحجم واستمر هذا المطر الذى يسميه الحاج حسين رجما نحو اربع دقائق وقد تضرر كثير من الحجاج من هذا الثلج وما تزال آثار هذا الضرب على رأس الحاج المذكور (اشار في المقابلة الى موضع ذلك من رأسه).

وذكر انه مات من جراء ذلك نحو عشرين حاجا.

<u>الرحلة الى المدينة المنورة:</u>

الطريق بين مكة والمدينة لم تكن معبدة ،والحافلات على الوصف السابق في حافلات حدة مما تؤثر الاهتزازات داخل السيارات على الحجاج وتسبب لهم بعض الجروح.

وفي سنة ١٩٥٣م كانت الطريق قد عبدت الى رابغ فقط وبعد ذلك فالطريق ترابية ،وتسير الحافلات ضمن قوافل ويخشي على من يسير بمفرده أن يضل أو يتيه في الطريق الصحراوى وقد حدث أن تاه أناس ساروا بمفردهم.

ولاحظ الحجاج كثرة السائلين والمتسولين في رابغ وبدر اى في المحطات التي تقف فيها السيارات للراحة وان أماكن الراحة كانت وسخة والماء قليل لأجل الوضوء.

الخدمات في المدينة المنورة:

يجمع الحجاج الأتراك على أن معاملة أهل المدينة أفضل من معاملة أهالي مكة وأنهم اناس لطيفون وعدد الذين يعرفون التركية أكثر ممن يعرفونها بمكة.

وطرق المدينة وأزقتها ضيقة لا يستطيع الباص أن يصل الى كل نقطة فيها. والماء في المدينة أيضا قليل مما لا يساعد الحاج على الاغتسال قبل الذهاب لزيارة المسجد النبوى فيكتفي بالوضوء .

العادات بعد العودة من الحج:

بما أن الأتراك كانوا قد منعوا من الحج فان عودة الفوج الاول من الحجاج الى بلادهم قد لقي ترحيبا كبيرا فقد خرج الناس لأماكن بعيدة عن القرية راكبين على الخيول والحمير وماشين على الأقدام كبارا وصغارا ونساء مكبرين مهللين ترتفع الدعوات من أفواههم ويعانقون الحجاج ويهنئونهم بسلامة العودة.

وبيت الحاج التركي يصير معدا لاستقبال الزوار الذين يقدمون للتهنئة ويقدم لهم ماء زمزم وتمر فيشربون زمزم باكين طالبين من الله تعالى ان يرزقهم الحج ،وقد تستمر التهنئة لأكثر من شهر . والميسورون من الحجاج يصنعون وليمة ويدعون أهل القرية للاكل منها.

الهدايا:

أما الهدايا التي كان يأخذها الحجاج الأتراك من البلاد المقدسة فاولها ماء زمزم والتمر . ثم المسابح وسجادات الصلاة والحناء والطاقيات بعضهم أيضا يشترى أقمشة وشاى وكل حاج حسب استطاعته ووفرة المال لديه ، وفي تلك الفترة كانت الليرة التركية تعادل الريال السعودى .

مكة المكرمة كما وصفتها عينة الدراسة المختلفة :

كانت مساحة مكة المكرمة في ذلك الوقت صغيرة جدا ،تنتهي عند القشلة من جهتها الشمالية ،ومقبرة المعلاة من الجهة الأخرى ،ومن جهة الجنوب المسفلة التي تكثر فيها الوديان والجبال والأشجار التي تحيط بها من كل مكان وكأنها بعيدة عن مكة ٠

وبيوت مكة كانت قليلة ومعظمها حول الحرم المكي الشريف وما بعد عن الحرم فهو في حي المسفلة ٠

أما الحرم المكي الشريف كما ورد وصفه على لسان العينة فقد كانت مساحته أقل بكثير من مساحته الحالية ،وبئر زمزم كانت ظاهرة وفوقها قبتها ، والمقامات الأربعة كانت موجودة على حالها ،وتحيط بالحرم المدارس الكثيرة التي وقفت للتدريس جوار الكعبة ،كما تحيط به بعض البيوت ،مما كان يحجب رؤية الحرم من مسافة بعيدة٠

أما الصفا والمروة فكانتا خارج الحرم وبدون سقف والأرض تمتلئ بالرمال ويتخللهما سوق يغص بالبائعين ويعج بالمشترين فلذلك كان يختلط الحجاج مع البائعين والمشترين مما أدى الى ضياع بعض الحجاج عن ركبهم وقافلتهم٠

وقد أشارت العينة الى التحسينات والانجازات التى أدخلت على عمارة الحرم وعمارة بيوت مكة .

كما تعرض بعض أفراد العينة الى وصف منى وانها كانت صغيرة ولايوجد بها سوى مسجد الخيف والجبال تحيط به من كل جانب وان الأوساخ والقمائم التي يرميها الحجاج - خاصة يوم النحر - لاترفع مما أدى الى كثرة الذباب ،وتضايق الحجاج وساعد على انتشار كثير من الأوبئة بينهم .

وصف جــــــدة :

يصف بعض المعمرين جدة في ذلك الوقت بقوله :

ان بيوتها كانت قليلة ومعظمها من الطين واللبن وبعضها الآخر من الأحجار الرملية وعمائرها قديمة وفيها بعض النوافذ الخشبية لايزال بعضها حتى اليوم - ويحيط بجدة سور يغلق ليلا ويفتح نهارا له أبواب عديدة - ماتزال أسماء هـــذه الابواب الى اليوم كباب مكة وباب شريف الخ ......

ونظرا لقلة بيوتها فلا يوجد بها فنادق والحجاج ينتقلون منها مباشـرة اما الى مكة المكرمة أو المدينة المنورة .

وكان لكل بلد مندوب في جدة يقابل الحجاج فيها لتأمين طرق الانتقـال الى مكة . وقد وجد بها كما يذكر أحد المعمرين ماكينة لتنقية مياه الأمطـار حتى يشربها الناس تسمى " كوى كنداسة " والمياه في جدة كانت قليلة ،اشتراهـا الحجاج ...... حتى للوضوء أيضا وبلغ سعر الجالون الواحد أربعة ريالات أو مـا يعادلها .

طريق مكة ـ جدة ـ المدينة :

كان ركب الحجيج أول مايصل الى ميناء جدة يستأجر السيارات العامة أو الدواب المتوفرة لينتقل بها الى مكة المكرمة .
وهذا الطريق الذى تسلكه الدواب أو السيارات القديمة كان ضيقا وعرا غير معبد لكثرة الجبال التي تحيط به ومروره بالوديان والصحارى الكثيرة والمتعددة وتستغرق الرحلة عبر وسائل التنقل هذه يوما كاملا . وقد أشار بعض الحجاج أن شق طريق جدة قد بدأ وانتهى نصف الطريق تقريبا عام ١٩٥٣م .

وقد سلك هذا الطريق سيرا على الأقدام كثير من الحجاج الأفغان وغيرهم واستغرق المسير فيه ثلاثة أيام ،وبعد أداء مناسك الحج كان على الحجاج العودة ثانية الى جدة لاستئجار السيارات أو الدواب (الخيول والحميروالابل) للانتقال الى المدينة المنورة وعادة كانت تستغرق هذه الرحلة على الدواب أربعة أيام بلياليها ،ومن لم يجد ما يستأجر به الدواب كان ينتقل الى المدينة المنورة سيرا على الأقدام حيث تستغرق هذه الرحلة منه مايقرب من اثنى عشر يوما كان خلالها يجتمع الحجاج الذين يودون السفر سيرا على الأقدام ثم ينطلقون باتجاه المدينة المنورة يسيرون في الليل ويستريحون معظم النهار في ظل شجرة ان وجدت أو ظل جبل . لقضاء حوائجهم واعداد طعامهم . ويظلون كذلك حتى يبلغوا المدينة .

وكان الحجاج الأفارقة من أكثر الحجاج مكوثا بها حيث يبقون بها شهرا أو أكثر بينما كان يغادرها معظم الحجاج .

الخاتمـــــــــة :

بهذه الصورة الشاملة والكيفية المميزة التي تناولها البحث تتضح أهمية الدراسة الخاصة بتاريخ الحج عن طريق المعمرين سيما اذا أخذنا بعين الاعتبار مدى أهمية التاريخ الشفاهي في نقل الوقائع والأحداث التاريخيــــة والاقتصادية وغيرها والتي غابت وتغيب عن بعض المؤرخين أو التي أهملتهـــا كتب التاريخ المعروفة .

ومن هذا الجانب تعتبر هذه الدراسة تأصيلا للمعلومات التاريخيـــة المتعلقة بالماضي وربطها بالحاضر والتي تساعد على تفادى السلبيـــات المتعلقة بخدمة ضيوف الرحمن واستدراك ماينبغي القيام به حيالهم . وهـــو بالتالي يعتبر سجلا لمن أراد الرجوع اليه والافادة منه .

ويلفت فريق البحث النظر الى أن الدراسة تعتبر رائدة استكشافيـــة لعمل أشمل وأوسع بحيث يضم فيما بعد الجزء الثاني الخاص بحجاج العـــرب المعمرين .

فنظرا لغزارة المادة العلمية التي ستنتج عن هذا العمل ولمايتطلبه هذا الجانب من التعرض للأوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصاديــة وغيرها أبان الفترات التاريخية السابقة ،فان فريق البحث لايفوته ان يذكـــر جهود حكومة المملكة العربية السعودية بخصوص أمن الحج . فلا يستطيع القـــارىء أن يعرف أهمية استتباب الأمن في الحجاز ،ومقدار النجاح الذي حققته حكومـــة المملكة العربية السعودية في هذه المنطقة مالم يطلع على الوضع الذي كانت عليه شبه الجزيرة العربية قبل دخول الحجاز تحت ادارة الملك عبد العزيـــز ـ طيب الله ثراه ـ ،فقد كان الأمن مفقودا في الحجاز ،وكان على الانســـان الذي يريد الانتقال من مدينة الى آخرى ،أو الحاج الذى يأتى اليهـــا لأداء

فريضة الحج . أن يضع أمام عينيه تعرضه لكافة الاحتمالات التى تنشأ عن فقدان الأمن ،ولكن الوضع تغير تماما منذ أن قامت المملكة العربية السعودية حيث ساد البلاد الاطمئنان والاستقرار للمرة الأولى منذ قرون عديدة .

ولقد استطاعت الحكومة السعودية تحقيق الأمن الشامل بالعدل وبث ووعى الفضائل الدينية والمدنية بين أبناء الشعب السعودى حتى صارت مئات الألوف من الحجاج الذين يأتون الى المملكة في موسم الحج كل عام ،لايتعرض أحد منهم لأى مكروه ،بل قد يحدث أن يفقد بعضهم في غمرة الزحام الهائل حافظة نقوده أو ساعته أو شيئا من متاعه ،ومايكاد يبلغ دوائر الأمن بذلك حتى يجد اهتماما بالغا فوريا بسرعة البحث عما فقده ولاتمضى ساعات معدودة الا ويتسلم مافقدمنه.

وهذا جانب من أهم جوانب الأمن التي تقوم بها جهود وزارة الداخلية ولقد انشأت القوات الموسمية من أجل راحة الحجاج والسهر على راحة وسلامة أمن الحجاج طوال فترة بقاءهم في الأراضي الاسلامية المقدسة .

ومما تجدر الاشارة اليه أن ماتقوم به حكومة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز نحو تحقيق أمن وراحة الحجاج لهو يفوق الوصف وأن الواجبات التي تقدم من جميع الأجهزة الحكومية وتجنيد هذه القوة البشرية والغرض الاساسي هو راحة وسلامة الحاج وتأمين كافة الخدمات اللازمة له في مختلف المجالات سواء فيما يتعلق بالاسكان والنقل أو خدمات الاتصالات أوالخدمات الصحية أو توفير المياه النقية مع توفير الأمن الغذائي . كل ذلك ليتفرغ الحاج تفرغا كاملا لأداء فريضة الحج بكل يسر وسهولة واطمئنان .

وهنا لايسعنا الا أن نتضرع الى الله سبحانه وتعالى بأن يمد الله في عمر خادم الحرمين الشريفين وكافة العائلة المالكة ذخرا للاسلام والمسلمين .

المراجـــــــع :

- ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ، اوفست بدون تاريخ ومكان .
- الأزرقي ، أبو الوليد محمد بن عبد الله بن احمد : اخبار مكة وماجاء فيها من الآثار ، تحقيق : رشدى الصالح محلس ، مطابع دار الثقافـــــة ، ط ٣ ، ١٣٩٨هـ / ١٩٨٧م ، مكة المكرمة .
- ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، دار صادر ، بيروت .
- ابن بطوطة : تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، تحقيق : د.علي المنتصر الكتاني ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ٤ ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .
- ابن جبير : رحلة ابن جبير ، دار صادر - دار بيروت ، بيروت ، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م .
- ابن خرداذبه ، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله : المسالك والممالـك ، مكتبة المثني بالأوفست .
- ابن دريد : جمهرة اللغة ، دار المعارف العثمانية ، حيدرآباد ، الدكـــن ١٣٤٥هـ .
- ابن رسته ، أبو علي أحمد بن عمر : الأعلاق النفيسة ، ليدن ، مطبعة بريـــل ١٨٩١م .
- ابن ظهيرة : الجامع اللطيف في فضل مكة واهلها وبناء البيت الشريف ، ط ٥ ١٣٩٩هـ ، المكتبة الشعبية .
- ابن فهد ، نجم الدين بن عمر : اتحاف الوري باخبار أم القرى ، تحقيـــق : فهيم محمد شلتوت ، دار المدني ، جدة ، من مطبوعات معهد البحث العلمـــي واحياء التراث الاسلامى - جامعة أم القرى ، مكة المكرمة .
- ابن كثير : البداية والنهاية ، دار الفكر العربى .
- ابن مجاور : تاريخ المستبصر ، بتصحيح اوسكرلوفغرين ، مطبعة ليدن ، بريــل ١٩٥١م .

- ايوب صبري : مرآة الحرمين ،المطبعة البحرية ،اسطنبول ،١٣٠٣هـ (باللغة التركية) .
- البتنوني ،محمد : الرحلة الحجازية ،مكتبة المعارف ،الطائف ،ط ٣ .
- تاريخ الحج من وادي نهر السند باكستان ،من تقارير مركز ابحاث الحج بجامعة أم القرى ،مطبوع على الآلة الكاتبة .
- التجيبي ،القاسم بن يوسف السبتي : مستفاد الرحلة والاغتراب ،تحقيق : عبد الحفيظ منصور ،الدار العربية للكتاب ،ليبيا - تونس .
- الجزيري ،عبد القادر بن محمد بن عبد القادر بن محمد بن ابراهيم الانصاري : درر الفرائد المنظمة في اخبار الحاج وطريق مكة المعظمة المطبعة السلفية ،القاهرة ،١٣٨٤هـ .
- الحربى ،أبو اسحاق : كتاب المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة تحقيق : حمد الجاسر ،دار اليمامة ،الرياض ١٣٨٩هـ .
- السيوطي ،جلال الدين : ريح النسرين فيمن عاش من الصحابة مائة وعشرين تحقيق : عدنان أحمد مجدر ،دار الوفاء ،جدة .
- الطبري ،أبو جعفر محمد بن جرير : تاريخ الطبري تاريخ الملوك والرسل، تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم ،دار المعارف ،مكة المكرمة .
- عبد المجيد بكر : الملامح الجغرافية لدروب الحجيج ،دار تهامة ،جدة ط ١ ،١٤٠١هـ / ١٩٨١م .
- عز الدين بن فهد ،عبد العزيز بن عمر بن محمد بن فهد : غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام ،تحقيق : فهيم شلتوت ،من مطبوعات معهد البحوث العلمية بجامعة أم القرى ،مكة المكرمة ،ط ١ ،١٤٠٩هـ .
- الفاسي ،تقي الدين محمد بن أحمد : شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ، تحقيق : د. عمر عبد السلام تدمرى ،دار الكتاب العربى ،ط ١ ،١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

- الفاسي ،تقي الدين محمد بن أحمد : العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تحقيق : فؤاد سير ،مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة ،١٣٨١هـ/١٩٦٢م .
- الفاكهي ،أبو عبد الله محمد بن اسحاق : أخبار مكة ،تحقيق : عبد الملك بن عبد الله بن دهيش ،ط ١ ،١٤٠٧هـ/١٩٨٧م ،مكة المكرمة .
- القرطبي ،محمد بن أحمد : الجامع لأحكام القرآن ،دار احياء التراث ، بيروت ،١٣٧٢هـ .
- القطبي : كتاب الاعلام بأعلام بيت الله الحرام ،غتنغة ،١٢٧٤هـ ،روائع التراث العربى .
- الكردى ،محمد طاهر بن عبد القادر : التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم ،مكتبة النهضة الحديثة ،ط ١ ،١٣٨٥هـ .
- مالكي ،سليمان عبد الغني : طريق ركب الحاج العراقي ،الدارة ،العدد الثاني ،السنة التاسعة ،المحرم ١٤٠٤هـ اكتوبر ١٩٨٣م .
- محمد أمين المكي : الآثار المبرورة والمشكورة لسلاطين آل عثمان في الحرمين الشريفين (باللغة التركية) ،المطبعة العثمانية ،دار سعادات، ١٣١٨هـ .
- محمد على مغربي : الملامح الاجتماعية في الحجاز في القرن الرابع عشر الهجرى ،دار تهامة ،جدة ،ط ١ ،١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .
- محمد عمر رفيع : مكة في القرن الرابع عشر الهجرى ،من منشورات نادى مكة الثقافي ،ط ١ ،١٤٠١هـ/١٩٨١م .
- المسعودى ،أبو الحسن على بن الحسين بن على ،تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ،دار المعرفة ،بيروت ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .
- ناصر خسرو : سفرنامه ،رحلة ناصر خسرو الى لبنان وفلسطين ومصر والجزيرة العربية في القرن الرابع الهجرى ،نقلها الى العربية : د. يحي الخشاب دار الكتاب الجديد ،بيروت ،ط ٢ ،١٩٧٠م .

- ورثيلاني ،الحسين بن محمد : نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار المشهورة " بالرحلة الورثيلانية " ، دار الكتاب العربى ،بيروت ، لبنان ،ط ٢ ،١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م .